

صدر حديثاً :

ـ : ساحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الندوى

شخصيات وكتب

انطاءات عن شخصيات معاصرة كبيرة راحلة ،
و عن كتب أثيرة مؤثرة أسممت في تكون
شخصية المؤلف و ذوقه الديني والعلمي والأدبي

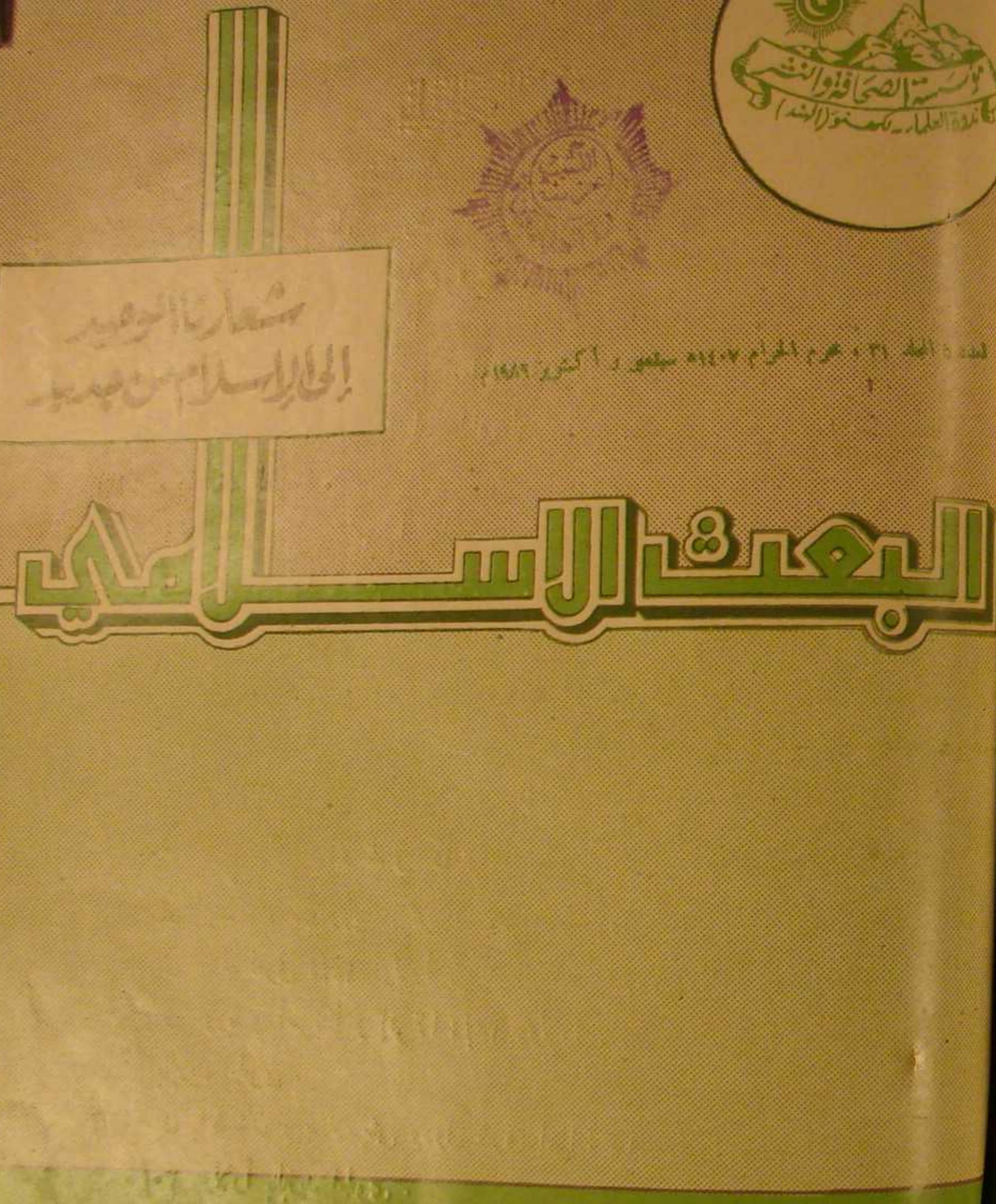
الناشر :

كلية اللغة العربية وآدابها
ندوة العلامة لكتؤ (المهد)

طلب الكتاب من

مكتبة مؤسسة الصحافة و النشر

دار العلوم ندوة العلامة، ص. ب ٩٣ لكتؤ (المهد)



تصدرها بجامعة الصيادلة والتراث
نحو العلامة، ص ب ٩٣ - لكتؤ (المندر)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

حضره الاخ الكريم ، حفظه الله تعالى
السلام عليكم و رحمة الله و برکاته ، وبعد :
فإن مجلتك «بعث الاسلام» تجتاز الان عامها الحادى و الثالثين ، وهي
ماضية في جهادها المتواضع منذ أمد بعيد ، رغم ضآلة وسائلها وقلة إمكاناتها ،
و قائمه بواجهها الاسلامى على جبهة معادية مليئة بالاحداث و الكراهية و مشحونة
بوسائل الهدم و التخريب و في بلد علماً ليس الاسلام دينه الرسمي ، و ليست
اللغة العربية لغته القومية .

فهلا نرجو منك - أيها القارئ الكريم - أن تشعر بعض واجبك نحو
مجلتك هذه و تتكرم ببذل شئ من وقتك الغالي في سبيلها ، و ذلك أن تكسب
مجلتك هذه عدداً من إخوانك المشتركين و تفضل بارسال اشتراكاتهم حسب
التفاصيل المذكورة أدناه ، أو تقوم باشراف وكالة لمجلة في بلدك أو مجتمعك الذى
تعيش فيه و تقيدنا بذلك في أول فرصة ممكنة - نرجو أن لا يفوتك الاهتمام
بهذا الموضوع الاسلامى في أى حال ، وجزاؤك على الله الذى لا تفدى خزانه .

الاشتراكات السنوية :

★ في الهند : / ٥٠ روبيه ، ثمن النسخة خمس روبيات .

★ في العالم العربي : / ١٥ دولاراً بالبريد السطحي ، / ٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .

★ في أوربا و أمريكا و إفريقيا : / ١٥ دولاراً بالبريد العادى ، / ٥٠ دولاراً
بالبريد الجوى .

★ في باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيا : ١٥ دولاراً بالبريد السطحي ،
/ ٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .

الراسلات : مكتب بعث الاسلام ، مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلامة ص . ب ٩٣ لكناو (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI - C/o. NADWAT ULULAMA
P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

المجلة لا تقتيد بكل فكر لكل كاتب ، بل شعر فيها

أشهاً

فقيم الدعوة الاسلامية الاستاذ محمد الحسيني رحمه الله

في عام ١٩٥٥/١٣٧٥



البٰصٰ الـ إـسـلـامـي

رئاسة التحرير

سعید الأعظمی التَّدَوِی
واضح رشید التَّدَوِی

المجلد الحادى والثلاثون ★ عرم ٢٠٠٧ - سبتمبر و اكتوبر ١٩٨٦ ★ العدد الخامس

الراسلات

البعث الاسلامي ندوة العلامة، ص ٩٣. لكناو (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93.

LUCKNOW (INDIA)

و تغطية الحاجات المتعددة و استجابة نداء الحضارة و العلم في كل عصر و جيل ، ولذاك فان الانسان مهما تقدم عليه و حضارياً و قطع و أشواطاً بعيدة من الرقي في مجالات التقنية والصناعات المدهشة ، وحقق أحلااماً بعيدة المنال في الحضارات العالمية ، إلا أنه لا يكاد يستغني عن شريعة الله في إسعاد الحياة والمجتمع ، و توفير الماء و الطمأنينة لقلب الانسان (إن في الجسد مرضعة إذا صلت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، إلا و هي القلب) .

ونقول : إذا كانت هناك حضارة تتمكن من دعم العلاقات الاجتماعية والروابط الفردية على أساس العقيدة و الإيمان و الحب و الإيثار ، و تحبيب الفضائل إلى القلوب و تنمية عواطف البر والاحسان في النفس ، و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي الحضارة التي جاء بها الاسلام ، و تتمثل في تعاليمه الخلقية و مثله العليا ، و في علاقة الانسان بالانسان ، و علاقته بالله تبارك و تعالى ، و تمثيل الحياة الاسلامية بالمعنى المطلوب ، و من أحسن قوله من دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إني من المسلمين .

ثم نقول : إن الاسلام دين جامع شامل يشمل جميع شئون الانسان على جميع المستويات و في كل الأزمنة و الأجيال ، فقيمه الدنيا و الآخرة ، و فيه الروح و المادة ، وفيه السعي للزاد والاعداد للعاد ، و فيه إعطاء كل ذي حق حقه في كل مجال ، و فيه الجمع بين نزعات النفس و إشارقات القلب ، و توجيه القوى كلها نحو الوجهة السليمة مع الاعتناء الكامل بالازان في وضع كل ذلك حيث ينبغي أن يوجد .

و نتسع قليلاً في تفسيرنا للإسلام فنقول : إنه دين الحرمة ، و العدالة الاجتماعية ، و المساواة و الحب ، و دين الانفتاح و التعاون و تبادل المدافع ،

الافتتاحية :

سلوكنا المضاد و إسلامنا الممحون

من المفارقات الغريبة التي تطرق إلى حياة المسلمين بوجه عام سلوكهم المضاد لدى تفسير و شرح عظام الاسلام للانسان ، و التمثيل العملي للنجاح الذي أسس عليه الحياة الإنسانية ، فيما ادعينا - نحن المسلمين - بثقتنا الكاملة بخلود رسالة الاسلام و انسجامها مع الفطرة التي فطر الناس عليها ، و بذلك في ذلك طاقات القلم واللسان ، ولكن الواقع أثنا لا نستسيغ هذه النظرة الائمانية في الواقع العمل و التطبيق ، و لا تتجاوزها من حدود التصور إلى ثغور التصديق .

إننا نقول بشيء كثير من القوة و الثقة : إن الاسلام هو الدين الذي قام بالجمع بين جوانب الحياة المختلفة في وقت واحد ومنح لكل جانب حقه كاملاً على حسابه الخاص ، و بكل دقة و اتزان ، دون أن يخس غيره شيئاً قليلاً و لو بمقدار ذرة ، أو يناله بأى ضرر أو نقص ، و نستدل على ذلك بكل دليل ، و نعتمد في تحقيق وجهة النظر هذه على كل مظنة من مظان العقل و النقل .

و نقول بكل صراحة و إيمان : لا بديل لهذا الدين في العصر المتطور الحديث الذي يرحب بالبدائل و يعتبرها دليلاً كل تطور عقلي و حضاري ، و يبرهن على قولنا بأكثر من برهان ، و نؤكده بكل التأكيدات الحضارية و الفكرية والتاريخية ، و لا نسمح لأى مسلم بأن يلين في استبدال أى جزء آخر من غيره ، بل و نرى ذلك مروراً من الدين و خروجاً على قواعده ، و ضرباً على أساسه .

إننا نعلن باستمرار و بجهار : شريعة الله غنية بجميع متطلبات الحياة الإنسانية في كل زمان و مكان ، و هي وحدها التي تتمتع بحق الخلود و الاستمرارة (٤)

العالم قديماً وحديثاً، ولم يعد أسلوب أو طريق إلا وقد مارسوه في إثبات فضل الاسلام على الانسان ، حتى ولو في العالم المتغير الحديث الذي تطورت فيه الحياة و حقق فيه الانسان انتصارات باهرة في جميع الحالات .

هذا سلوكنا مع الاسلام من الناحية البينية والأوضاع الادية !

أما سلوكنا العملي معه ، و وضعنا التطبيق مقابل تعاليه و شرائعه و قوانينه و حدوده ، فلا اعتقاد أنه يتحقق وما ننادي به من صفات متميزة له و امتيازات بعيدة المدى لشريعته ، ذلك أننا مهما بذلنا من طاقات بيانية حول هذا الموضوع إلا أن التطبيق العملي الكامل أصبح حلماً لا يكاد يتحقق ، لا في حياة الأفراد ولا على المستوى الجماعي ، ولا في طبقة الجماهير ولا في الطبقات العالية من أصحاب الاختصاصات في العلم والمجتمع والسياسة .

نرى أن العمل بالاسلام لم يعدلنا هما ولا قصداً ، كما يهمنا شرحه وتفسيره قوله وبياناً ، وقد اختفى ذلك الغرض العظيم و الهدف المشود وراء ركام من القول الجميل والكلام المعقول ، وأصبحنا في غنى عما إذا كان الاسلام يطبق أو لا يطبق ، وإذا كانت شريعته تنفذ أو لا تنفذ في المجتمعات المسلمين وبذانهم ، ولترك أصحاب السياسات والحكم منا ، فإن لهم مصالح و موانع تحول دون تطبيق الشريعة الاسلامية على الحكم و تحكمها في الحياة ، وكذلك الجماهير المسلمة التي لم تتعلم تطبيق الشريعة بالمعنى العملي ، وظللت تعيش على الهاشم ، ولترك الطبقة المثقفة المترنجة التي لا يهمنا العمل بالشريعة ، ولا تؤمن بحيويتها وجدراتها بالبقاء في العصر الحديث ، ولكن ما جوابنا فيمن يشتغل بدراسة الشريعة الاسلامية ويعيش باسم الاسلام و ينتهي إليه في جميع شئون الحياة ، و يعتبره الناس مثلا للدين و أحکامه و تعاليه و آدابه ، ثم لا تكون حياته نموذجاً لحياة المسلم المؤمن الواقعى ، ولا تكون تصرفاته نابعة من تعاليم الاسلام و أحکامه ، ولا تكون أهواه خاضعة لشريعة الله و قوانينه ! .

و دين التكافل ، و التفاضل على أساس التقوى ، لا على أساس الجنس و اللغة و الوطن ، فهو يراعى الحياة ، مراعاة دقيقة و يراقب النشاط الانساني مراقبة عميقة ، يثير كوامن النفس فيها يصلح الحياة ، و يفجر الطاقات البشرية لخدمة المصالح الطيبة ، و توطيد الروابط بين الانسان و ربه القدير .

إنه دين السعادة البشرية بكل ما في الكلمة من معنى ، فهو ينظم العلاقات و ينزع الدوافع و الاتجاهات ، و يذكر النقوس من رواسب الجاهليات والأنانيات و من كل ما يضاد الطبيعة و يعرقل المسيرة ، و يحول دون التوصل إلى النهاية المنشودة واتصال الانسان بالطاقة الكبرى التي تتطاير منها الحياة نحو الوجهة المطلوبة بمثل هذه النبرات البينية و القوة التعبيرية و التأكيد اللغطي نفسر الاسلام و نشرح تعاليه و شريعته و منهجه للحياة ، و نرفع قضيته على جميع المستويات ، و من المنابر العالمية و في المحافل الدولية ، دون أن تفوتنا فرصة من فرص القلم و اللسان في التغيير عن خصائصه و ميزاته ، و تثبيت دعائم العقيدة و الایمان و الأخلاق و الفضائل التي يقوم عليها صرح هذا الدين .

ولا نقصر في تفنيد جميع ما يوجد الآن من أفكار و معتقدات و ديانات و نظرات أو فلسفات علية وحضارية بازاء الدين الاسلامي ، والتصرّح بأنها ليست إلا تاج عقول إنسانية محدودة ، وليس إلا أباطيل لا تحتمل أدنى هزة من الحق الواضح المبين (إن هي إلا أسماء سميت بها أئم و آباءكم ، ما أنزل الله من سلطان إن يتبعون إلاظن و ما تهوى الأنفس) .

لقد تم ذلك على مستوى الجماعات والأفراد والزعماء و الدعاة ، فمن أصحاب الدعوة و الدين و زعماء السياسة و الاجتماع ، و رجال القلم و اللسان ، و أهل الأدب و المحضرات ، و خبراء العلوم و المعارف إلى الدعاة و العلماء و المؤجّهين و المربيين ، كلهم قرعوا الآذان بشرح معنى الاسلام و تفسير خصائصه و ميزاته تجاه الديانات الأخرى و الفلسفات و الأفكار و المفاهيم و التصورات التي يزخر بها

ما جوابنا للناس إذا عاش أصحاب الاختصاصات الدينية و المسؤوليات الدعوية بمعزل عن التطبيق الدقيق لشريعة الله على الحياة والمجتمع ، و على الشؤون الداخلية والخارجية ، و على النشاطات و الممارسات الفردية والجماعية ؟ !
بأى شىء نفسر تصرفاتنا المحررة عن أحكام الدين فيما يتعلق بالمعاش أو بالعادات و التقاليد القبلية والإقليمية لدى المناسبات التي تتطلب الأسر والعائلات مثلاً ؟ ! .
هل نحن مسلمون بالعمل و التطبيق في أسواقنا و محاكمنا ، مثل ما نحن في مساجدنا و في عباداتنا ؟ ! .

هل نحن نمثل الحياة الإسلامية في دوائر عملنا ، و وظائفنا ، ومع أعضاء أسرنا و بيوتنا و في نشاطاتنا اليومية ، و في معاملاتنا العامة ؟ ! .
إننا في الحقيقة أقنا حاجزاً بين السلوكيين ، و رضينا بما إذا كان سلوكنا القولى يغایر سلوكنا العملي ، و لم نرأى حاجة دينية ولا خلقية إلى الجموع بينما حتى توزعنا بين هذا و ذاك ، و اكتفينا بسلوك القلم و اللسان ، و استثنينا عن سلوك القلب و العمل ، و ركزنا على إجاده التفسير و إحسان التعبير و لم نلتفت إلى إصلاح العمل و إجاده التطبيق .

و من أجل هذا السلوك المتميز المتعارض ينظر غير المسلمين إلى الإسلام بنظرة ملؤها ذعر و ريبة و خوف و إشفاق ، ولو أنهم شاهدوا الإسلام متمنلاً في حياة المسلمين و مطبقاً على تصرفاتهم و نشاطاتهم ، و عموماً به في ظاهرهم و باطنهم ، لكن ذلك داعياً لهم إلى أن يرغبو فيه و يصبحوا ضمن أبنائه وأنصاره و يدخلوا في دين الله أفواجاً .

ففي سيتحقق نصر الله و الفتح ، و متى تقر العيون برؤيه مناظر الأفواج ..
التي ستدخل في دين الله (قل عسى أن يكون ذلك قريباً) .

سعيد الأعظمي

التجربة الإسلامية



الإسلام إلا بالبراءة من الشرك ومحادته و معاداته ، إن التوحيد هو الاشتراز و النفور من كل شائبة من شوائب الشرك ، .

ويقول رحمة الله : « إن الاستعانة بالطواوغية والأصنام في دفع الأمراض وشفاء الأسمام - التي راجت في المسلمين وعمت في دهمامهم - عين الشرك والضلالة ، و أن طلب قضاء الحاجات من الأحجار المنحوتة جحود صريح بالله - تعالى - وعین الكفر ، يقول الله - تبارك و تعالى - مبيناً حال بعض الغواة الضالين : « يريدون أن يحاكموا إلى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به ، و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً » .

و إن كثيراً من النساء - لغاية جهلهن و ضلالهن - يطلبن قضاء حوانبهن من غير الله ويسألن بأسماء ما أنزل بها من سلطان ، دفع البليات وكشف الكربات ، لهن لأسيرات في أغلال الشرك و طقوسه و تقاليده .

و تتجلى هذه العقائد الشركية و تشاهد هذه الأعمال و تقاليد الجاهلية - بصفة خاصة - عند ما يتشرىء مرض الجدرى (الذي يعرف في أوساط النساء في الهند باسم « سيتل ») حيث تقع جميع النساء في الجهل المطبق ، والكفر الصريح ، و يأتين بأعمال شركية ، وقلما تجد امرأة تتقى دقائق هذا الشرك ، ولا تقدم على أي نوع من أنواع الشرك بهذه المناسبة ، اللهم إلا من عصم ربك .
(ص ٢٢٥-٢٢٦)

و قد كانت أكبر أغلوطة في هذا الصدد ، أغلوطة البدعة الحسنة ، فكان الناس قسموا البدعة قسمين : البدعة السيئة ، و البدعة الحسنة ، و كانوا يقولون : إنه ليس كل بدعة سيئة فكثير من البدع حسنة ، استثنى من إطلاق حديث « كل بدعة ضلالة » .

(١) اسم لامة من الالهات المفروضة المتغلبة عند وتنى الهند ، يعتقدون أنها تسب الجدرى ، « لا درعع - عزو جل - و أن من يعتقد بصحة دينين و صلاحيتها في وقت واحد فهو مشرك » .

ـ هذا الويام ، و لا يشق المريض إلا إذا أرضيته هذه الالهة بالذور و القرابين .

الدعوة إلى التوحيد الخالص

و محاربة الشرك و مظاهره

في رسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي
سماحة العلامه الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوى

لما بدأ الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي رحلته التجددية كانت أول خطوة خططاها على طريق الأنبياء و على نفس المنهج الذي سار عليه الرسل ، هي الخطوة نحو إصلاح العقائد و تصحيح الاتجاه ، فقد كان إياوه عن سجدة التحية أمام السلطان « جهانكير » و رفضه لهذه البدعة الشنيعة عنواناً لاماً في تاريخ إصلاحه و تجديده ، وقد تناول في رسائله التي وجهها إلى مختلف أصحابه و أتباعه بيان حقيقة التوحيد بأسلوب واضح مبين ، و عبارات موجزة جامعة رصينة ، و قدم دلائل وبراهين على وحدانية الله - تعالى - وأنه هو المستحق للعبادة وحده ، بأسلوب يدل على رسوخه وعلو كعبه في هذا العلم ، وقام يدحض الشرك ومظاهره و تقاليده وهي أصحابه و أتباعه نهياً شديداً عن الأعمال الشركية و العادات الجاهلية و تقاليد الكفار من اليهود و النصارى و المشركين ، إذ أنه لا بداية لعمل الإصلاح و التجديد إلا به ، فضلاً عن نهايته و كماله .

و هنا مقتطفات من رسالة مسنية كتبها إلى امرأة صالحة بايعته وتابت على يده ، و قد تضمنت هذه الرسالة الرد على عامة ما يبتلي به الجهلاء من المشركين خصوصاً النساء منهم ، يقول فيها .

ـ إن تعظيم مظاهر الشرك و أعياد الجاهلية من أعظم أنواع الاشراك بالله - عزو جل - و أن من يعتقد بصحة دينين و صلاحيتها في وقت واحد فهو مشرك ، و أن من يعمل بأحكام الإسلام وأعمال الكفر و الشرك فهو مشرك ، و لا يتم

تأمّلات في آيات من كتاب الله

فضيلة الشيخ محمد ابراهيم شقرة

مدير المسجد الأقصى

كانت الآية من كتاب الله تنزل على الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فيعها قلبه ، ويختوّها ، ويسعد عليه الصلاة والسلام بها ، لأنّها تكون جزءاً من الكتاب الذي بتمامه ستم السعادة للبشرية كلها في كل زمان ومكان .

ثم يتلوها على أصحابه فيستبقون العمل بها ، يحفظها الواحد منهم فيفرح كاً لو عثر على كنز عظيم ، فينظر ما له فيها من حظ فإذا ذهب ، ثم ينظر ما لغيره فيها من أهل و ولد من حظ فأمرهم به ، فيستجيبون له من غير تردد ولا أناة . وتکاد كل آية في القرآن تحكي لنا قصة ستظل طریقاً مهدأً للإجيال تسلكه لتبلغ منه ما أعد الله لها من نعيم إن هي سلكته .

أخى المسلم ، تعال معنـى لنصـفـى إـلـى صـوت الـوـحـى الـخـالـد وـهـو يـتـقـلـ إـلـىـناـ عـبـرـ الـقـرـونـ كـلـاـ مـرـ عـلـىـ أـرـضـ أـبـتـ فـيـ جـبـانـهـاـ الـخـيـرـ ، وـأـقـامـ فـيـهاـ مـعـلـماـ مـعـلـماـ الـمـهـدـ يـظـلـ قـائـماـ فـيـهاـ يـرـشـدـ الـحـيـارـىـ ، وـيـوـقـظـ الـسـكـارـىـ ، تـعـالـ مـعـنـىـ لـنـصـخـ إـلـىـ قولـ اللهـ عـزـوجـلـ : «ـمـنـ كـانـ يـرـيدـ الـعـاجـلـ بـعـدـ لـهـ فـيـهاـ مـاـ نـشـاءـ لـمـ نـرـيدـ ثـمـ جـعـلـنـاـ لـهـ جـهـنـمـ يـصـلـاـهـ مـذـمـوـمـاـ مـدـحـورـاـ ، وـمـنـ أـرـادـ الـآـخـرـ وـسـعـىـ لـهـ سـعـيـهـ وـهـوـ مـؤـمـنـ فـأـوـلـثـكـ كـانـ سـعـيـهـ مـشـكـورـاـ ، كـلـاـ نـدـ هـؤـلـاءـ وـهـؤـلـاءـ مـنـ عـطـاءـ رـبـكـ ، وـمـاـ كـانـ عـطـاءـ رـبـكـ مـحـظـورـاـ ، أـنـظـرـ كـيفـ فـضـلـاـ بـعـضـهـ عـلـىـ بـعـضـ وـلـلـآـخـرـ أـكـبـرـ درـجـاتـ وـأـكـبـرـ تـقـضـيـلاـ ، لـاـ تـجـعـلـ مـعـ اللهـ إـلـهـ آـخـرـ فـقـعـدـ مـذـمـوـمـاـ مـخـذـلـاـ .ـ .ـ .ـ

هذه الآيات الكريمة من سورة الامراء، وهو السورة التي سجلت لنا أروع

إن ما قام به الإمام السرہندي من معارضة شديدة و استثار قوى لهذا التّقسيم المحدث للبدعة الحسنة و البدعة السيئة في ثقة وقوه و اعتماد و بأسلوب على و استدلال موضوعي ، لا يوجد له نظير في كثير من الأقطار و الأدوار في تاريخ الاصلاح الديني .

و هكذا استطاع أن يعيد إلى الإسلام مركزه من جديد في الهند ، ويعيد إلى السنة اعتبارها ويعيد في المسلمين الثقة بالمصادر الصحيحة و بالكتاب و السنة ، و أن يكون للإسلام اتفاقية في الأقطار الإسلامية من شبه القارة الهندية إلى أفغانستان و تركستان ، إلى العراق و سوريا و تركيا ، وينهض جيل جديد من دعاة الإسلام الصحيح و العقيدة السليمة البعيدة من شوائب الفلسفات و الانحرافات و تأثير الديانات و الحضارات الجاهلية ، ونشأت جهة قوية واعية لمعارضة البدع و المحدثات ، و دعوة سافرة إلى العمل بالشريعة المطهرة و السنة السنّة البيضاء ، و إقبال عام على الانابة إلى الله و تزكية النفوس ، و تهذيب الأخلاق ، و تجديد صلة العبودية بالله تعالى في ضوء الكتاب و السنة .

الواقع أن عمله التجديدي الأساسي الذي تدور حوله سائر أعماله الاصلاحية التجديدية ، و منبعه الأصيل الذي تتجذر منه ينابيع جميع مآثره الاصلاحية وجهوده الثورية ، و تحول إلى نهر يجري في العالم الإسلامي كلـهـ ، هو ذلك العمل الاصلاحي العظيم الذي تجلى في إعادة الثقة والإيمان إلى قلوب أبناء الأمة الإسلامية بخلود الرسالة الحمدية و حاجة الناس إليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، و ترسیخ جذور هذه العقيدة المهمة .

و يقول هو نفسه في رسالة وجهها إلى ابن شيخه محمد عبد الله وهو يصور هذا الوضع المكفر .

ـ لـقـدـ كـثـرـ الـبـدـعـ وـ الـمـهـدـاتـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـامـ كـثـرـةـ فـاحـشـةـ ،ـ حـتـىـ لـيـخـيلـ لـلـنـاظـرـ أـنـ بـحـراـ مـنـ الـظـلـمـاتـ تـلـاطـمـ أـمـواـجـهـ ،ـ وـ أـنـ نـورـ الـسـنـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـرـ الـمـاحـيـ الـمـاخـيـ يـتـلـامـلاـ تـلـامـلاـ يـرـاعـاتـ مـنـشـرـةـ فـيـ خـلـمـةـ الـلـيـلـ الـيـهـمـ ،ـ .ـ .ـ .ـ

الأشياء و هو المطهى و هو المانع فليس لأحد من خلقه أن يأخذ منه شيئاً من ملكه إلا بارادته ، وهو معنى قوله في هذه الآيات « عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد » .

و هذه لعمري ترية موجهة من القرآن كيلا يكثر المرء من الجري والسعى إلا في طاعة ربه ، و الرسول الكريم صلوات الله عليه و سلامه يضع بعض أحاديثه حداً لاطماع الإنسان فيقول : « إن روح القدس نفث في رووعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها و أجلها فاقروا الله و أجعلوا في الطلب » ، ثم يحذر عليه الصلاة و السلام من انحراف النفس بصاحبها إن أبطا الرزق عنها فتحمل صاحبها على الحرام فيقول : « و لا يحلفكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله » ، ثم يقطع الأطماع المدفوعة إلى حظوظ الدنيا بالمعاصي فيقول : « فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته » .

ثم تأتي الآية الثانية وهي التي عرضت لنا كلماتها الآخرة الصالحة التي ازinta بنعيمها لأهلها بثلاث كلمات : العزمـة وهي التي عبرت الآية عنها بـ « أراد » ، والعمل وهي التي عبرت الآية عنها بـ « سعى » ، والتصور الصادق الحامل صاحب على التسلیم وهي التي عبرت الآية عنها بـ « يقولها » و هو مؤمن ، و هذه الكلمات هي الشروط التي يحصل بها المرء على رضوان الله في الآخرة ، فالارادة والعمل الصالح والإيمان ، بها يصل المرء إلى ما يرجي ، و إن عجز عن تحقيقها في نفسه فليس له من سعي إلا التعب يصيب به حظاً من دنياه ، يزيد في همه ، ويضعف من دينه .

فالإيمان يوافق العمل حكم الله عزوجل الذي لم يشرع إلا لاسعاد الناس كافة ، وتحقيق العدل بينهم الذي قامت عليه السماه و الأرض . و الإيمان والعمل لا يكونان صالحين إلا إذا وافقا نية صالحة يبتغي بها الإنسان من إيمانه و عمله وجه الله و اليوم الآخر ، ولذلك قرن الرسول عليه الصلاة و السلام بين النية

معجزة حسية من معجزات النبوه ، استوتفت فيها عرى الاتصال بين السماه والأرض ، وتجلت في كلماتها رحمة الله التي أحاطت بالنبي ، وجرييل ينتقل به في أطباقي السماء ، وهذه الآيات التي معنا نكاد نشهد من خلال كلماتها الدنيا مصورة لنا بكل زخرفها وزينتها ، فيخضم لها الذي في قلبه مرض ويقول يا ليتني أقوى منها نصياً لا يؤتاه غيري لآتيه به على سائر الناس وأفرح ، كما نشهد أيضاً من خلال كلماتها الآخرة قائمة بين أيدينا يكاد روحها يلامس وجوها و يصافح قلوبنا فيشوقا إليها بالعمل الصالح الدائب في الليل و النهار .

و الدنيا قرية المثال ليست بعيدة من أحد فيها ما دام حياً يدب على الأرض ، فهو مقتدر عليها متمكن من ناصيتها ، قد يدركه منها قليل وقد يصيب منها الكثير ، فذاك موكل إلى سعيه ، وفي الدنيا الحلال و الحرام ، وفي الدنيا الخير والطيب ، وفي الدنيا العذب و الملح ، وفي الدنيا النعافـص كلها تعيش جنباً إلى جنب ، وليس منها شيء يمتنع على أحد ، وفي مقدور المرء أن يجعل منها مطية خير تسعى به إلى الأرض الطيبة لينال من خيرها و رفدها ، وفي مقدوره كذلك أن يجعل منها مطية شر تقوده إلى المعاطب والمهالك ، فهي على كل حال مطية إن أحسن قيادها نجا ، و إن لم يحسن قيادها هلك .

فالمؤمن الطائع لربه ، الآخذ نفسه بأحكامه ، الساعي لمرضاته ، هو الذي يحسن قيادها فينجو ، أما الظالم لنفسه ، المخالف عن أمر ربه ، المعرض عن أحكامه ، فهو الذي يسيئ قيادها فيقع عنها فيهلك ، بعد أن يكون قد استوفى حظه من زينتها ، ذلك معنى قوله تعالى : « عجلنا له فيها ما نشاء » ، و معنى قوله : « ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموماً مدحوراً » ، وقد يذهب تعبه بسعيه سدى ولا يحصل من ورائه على طائل تقر به عينيه ، وتهنأ به نفسه ، فالله عزوجل هو مالك

من الاسلام إلى العروبة : التحول الفكري في ظل المستعمر

الدكتور السيد فهمي شناوى

كان التسامح الاسلامى هو الذى أبى الأقليات من يهود أو نصارى فى بلاد الشرق العربى ، و يضاعف من فضل هذا التسامح أنه تم فى عهد اتسم بالتعصب و القسوة فى أوروبا ، و ما كان غرض الخلفاء و لا قادة جوش الفتح القضاء على اليهودية و لا النصرانية ، بل مجرد قبول الاسلام طوعاً أو اقتناعاً أو لجواه من فساد و ظلم .

و سواء كان هذا التسامح خطأً أو صواباً و سواء كان هو الدافع الهام فى انتشار فتوح الاسلام أم لا ، فان المسلمين لم يقابلوا بمثل ذلك أبداً ، لا فى الاندلس و لا البلقان و لا فلسطين و لا قبرص و لا بلغاريا .. حتى هذه اللحظة .
يعتبر العهد العمرى الذى أعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لنصارى القدس ، نموذجاً للتسامح ، أمنهم على أراوحهم وأموالهم وكنائسهم ولا يكرهون على دينهم ، ...
مكذا نصاً ، ماداً أكثر من هذا بين غالب و مغلوب تنتهي بالتساوى المطلق ؟ !
و الذى كسب من هذا التسامح هو اللغة العربية ذاتها فارون الشام و أقباط مصر
مثلما قبلوا اللغة العربية و إن رفضوا الاسلام ، هذا بينما شعوب أخرى كالترك
أو الفرس قبلوا الاسلام و إن رفضوا اللغة العربية !

الحججة التى تقول إن قول نصارى الشرق بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام هي التى جعلت نصارى الشرق يقبلون العربية ، لا يصح الاخذ بها لأنه كان أولى بها أن يقبلوا الدين قبل اللغة .

والعمل فى قوله : « إنما الاعمال بالنيات و إنما لكل امرى ما نوى » .
و كل ما فى الدنيا من زخرف و مال و متاع هو ملك الله عزوجل ، يتصرف فيه كيما يشاء ، و العباد يتفاضلون بينهم ، فهم الغنى و منهم الفقير ، و منهم الوسط فى الغنى والفقير ، و هذا ما يقرره الله فى كتابه « و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » ، و هذا التفاضل مبني على حكمة يعلمها الله عزوجل ، لا يذكرها الناس لقصورهم و عجزهم ، لكنه الذى يصيب من الغنى حظاً مؤمناً أو ظالماً لنفسه فهو من عطا الله الذى لا يحظر على أحد ، ولا يمنع من أحد .
و تأتى الآية التى بعدها تقرر أن التفاضل فى الدنيا إنما هو تفاضل فى أعراضها ، أما التفاضل الحق فهو فى درجات الآخرة « و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلاً » .

ونلمح فى الآية الأخيرة من هذه الآيات ضمن التهى عن أن يتخذ الإنسان إلها آخر ، أن الأخلاق إلى الدنيا والركون إلى زينتها قد ينسى الإنسان حكم الله ، و هذا أول ما يصيب الإنسان من شر وهو يلهم بيديناه عن أخراه ، ثم يعقبه شر أطم و أعظم ، حتى يفقد المرء رصيده من الإيمان ، فيقع صريع هم دنياه .
فإذا كان الإنسان فطناً لما يجره أول الشر من بلاه عليه ، فعليه أن يدار إلى غسل نفسه بالتوبة و الانابة و الاستقامة على سواء الجادة .
نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويردنا إليه رداً جيلاً و يبارك في جهدها و عملنا .
ولا تكونن من الغافلين .

على العموم كانت اللغة العربية عنصر و أداة و وعاء فرح الفاتحين بالسكان الأصليين ، و سلّعب هذه اللغة دوراً خطيراً في مطلع القرن العشرين ، فتى الذين ظلوا على دينهم من يهود أو نصارى اتخذوا العربية لغة تناطّب و كتابة و شعر و غناء و ترجمة من اللغات الأخرى و جعلوا منها شعاراً و قضية سياسية فيها بعد .

حاولت الدولة العثمانية بمجرد انتقال عاصمة الخلافة من القاهرة و بغداد و دمشق إليها أن تغير تقنيّت هذه الأمة المتسعة إلى « نظام الملة » ، وأن تقسم الناس في الحكم و الادارة حسب دينهم لا حسب لغتهم ، فرقت بين متكلمي اللغة العربية تفرقاً دام حتى مطلع النصفة الحديثة ، و من هنا بدأ كره نصارى الشرق الأوسط للدولة العثمانية ، و ظل يتوالد و يتّنامي عاماً بعد عام ، و حرصوا على الترس باللغة العربية ضد الدولة العثمانية ، و حرصوا على إذكاء اللغة العربية كخصم للطوريّة ، و حرصوا على ذلك الارتباط بين اللغة العربية و الدين . و حرصوا على نقل اللغة من صف الدين إلى ضد الدين إن أمكن وكلما أمكن . أما اليهود العرب فقد اتخاذوا موقفاً انعزاليّاً في الشرق الأوسط يختلف تماماً عن موقفهم في الأندلس : في الأندلس كان اليهود يشتّرون في المدينة الإسلامية و يثروها ، أما في الشرق الأوسط فظلوا منعزلين و متعصبين حتى قامت الصهيونية فاتّقلوا إلى صفوفها . و ضد المدينة و الحضارة الإسلامية .

19 هنا اختلاف بين اليهود والنصارى في الشرق الأوسط خاصة في القرن حينما ازداد انزال اليهود ازداد اقتراب النصارى العرب عن طريق اللغة العربية و آدابها و شعرها ، و ساعد على ذلك تحول حدث في الدولة العثمانية جعلها تقلل من نظام الملة بإنشاء مدارس حكومية مفتوحة للنصارى والمسيحيين على سواء

ولكن هذا الاقرابة شابه شوائب (١) تفضيل النصارى أو بعضهم المدارس الأجنبية أو المدارس الطائفية و محاولة نشرها و تشجيعها و (٢) ثورة نصارى البلقان على الدولة (٣) اعتداء أوربا على دار الإسلام و النظر في ميراث الرجل المريض ، كل هذا شابه حركة اقتراب النصارى من اللغة إلى حد محدود .

رغم هذا ظل تدريس اللغة العربية في المدارس النصرانية و ظل نشر الصحف والكتب العربية من الاهتمامات الكبيرة لدى نصارى الشرق ، بل وأحياناً كثيراً من التراث العربي بل والاسلامي عن طريق مطابعهم ، بل وصنفوا كتباً في قواعد اللغة العربية ، و ظلت مدارسهم الدينية في حلب و جبل لبنان تدرس اللغة العربية و آدابها بأعلى مستوى ولا زالت كتب مثل « مجازي الأدب » ، من أعدّ موارد اللغة لای دارس .

بدأ شعور جديد و غامض يظهر ، شعور يسمى « حب الوطن » ، ربما انتقل من أوربا . . . ربما ظهر كرد فعل لاستعمار أوربا . . . ربما ظهر تعبيراً عن العلاقة الجديدة المشتركة بين المسلمين والنصارى التي جاءت وليدة للغة العربية . كان يمثل هذا الشعور الجديد الغامض « رفاعة الطبطاوي » ، في مصر « بطرس البستاني » ، في الشام .

ذهب الشيخ رفاعة إلى نتيجة خطيرة : هي أن كل ما هو حسن في المدينة الأوربية لا تناقض يسنه و بين الشريعة الإسلامية في شيء ، كان رفاعة أزهراً وإن لم يصل بعد إلى مرتبة « العالم » ، لم يتعذر بعد مرحلة مؤذن أو مؤدي شعائر في البعثة الطلاوية التي أرسلها محمد علي ، تعلم الفرنسيّة و التقى حب الوطن باطلاعه على نظام الحكم الفرنسي .

أما بطرس البستاني فكان مارونيا و لكنه تحول إلى البروتستانية على يد

العدد ٥ - المجلد ٣١ ★ حرم الحرام ٤١٠٧

الدين، وهذا تجاهل ملأ يجوز تجاهله، حتى هذه اللحظة ما ينقص هؤلاء السياسيين هو تحديد مكان الدين الإسلامي من القومية والوطنية، هل الإسلام أساس هيكل؟ هل هو دم يجري في عروق الوطنية والقومية؟ هل هو القلب النابض؟ هل هو الجهاز العصبي الحساس والحركي؟ أم هل هو مجرد جلد جعله خارجي؟ أم هو ثوب يمكن خلعه أو استبداله؟ موقع الدين من العروبة لم يتحققه ولم يحدده السياسيون العرب حتى الآن، وآثروا السكوت!

٦- كان السكوت أحد خطوط العلاج السياسي للشكلة: سكوت بمرور الزمن أصبح مذهاً في معنى الدولة، دولة أوربية أو بمقومات ووظيفة الدولة الأوربية، هذا السكوت أسكنت الناس ولكن لم يقنعهم وأرغم العلماء الذين ذكرناهم في بد (٢) على السكوت.

٧- سكوت العلماء هذا أثار الشباب لأخذواهم العبه، ظهر الإخوان ثم ظهرت الجماعات الإسلامية، الإخوان يدعون إلى الاعداد بالتربيه، و الجماعات تدعى إلى التغيير باليمد والسان والقلب، وكلها يستنكر سكوت العلماء، ويحاول أن يجعل محلهم في مهمتهم.

٨- هناك سكوت فرض على الناس: إسكات الناس قسراً أصبح حلاً، أسكط الناس دون أن يقتعوا، وأرغم العلماء على قبول الأمر الواقع، وفرض الأمر الواقع محاافظة على الوحدة الوطنية بين عناصر كل وطن بدلاً عن الوحدة الدينية بين عناصر الأجناس التي دخلت الإسلام.

هذا الإسكات حول دولة الخلافة العالمية إلى دول عربية قومية أو وطنية أو محلية تدرجها في خطوات متغيرة عبر مائة عام تقريباً، المائة عام من ١٨٥٠ - ١٩٥٠ تقريباً.

مبشري الأميركيان، فكان رباط الدين عنده مفكوكاً من الأصل، ثم بعد نشوء حرب أهلية بين موارنة الشام ودوروزها وبعد خدمته معلمياً ومترجماً مع الأميركيان وجد أن شعور «حب الوطن» يمكن أن يلعب دوراً تاريخياً في إطفاء هذه الحرب الأهلية. أما المسلمين فوقوا في حيص بيص:

١- عامة المسلمين قالوا لا تناقض بين الولاء لدار الإسلام متعرقة في الخلافة وبين الولاء لوطن محلي محدود.

٢- كان العلماء قالوا إن هذا الجمع يمس جوهر الدين وينال من هذا الجوهر.

٣- قال الشيخ رفاعة: إذن يجب أخذ ما يوافق الإسلام ترك مالا يوافق، وهنا تبرز مشكلة حادة وهي، من هذا الذي يقرر ما يوافق وما لا يوافق، هذا مرشد صعب العثور عليه.

٤- قال أمثال علي عبد الرزاق ورزيق نجيب محمود رأياً أورياً صرفاً هو أن المدينة منفصلة عن الدين وبالتألي الدولة منفصلة عن الدين، ويجب الأخذ بالمدية الأوربية وبسرعة وksamعاف، وبرر بعضهم هذا للناس بأن المدينة الأوربية هذه مأخوذة عن العرب، والعرب أخذوها عن اليونان، وبضاعة العرب ترد إلى العرب.

ولا يقف خطورة هذا الرأي عند مستوى الأخذ بالمدية وعدم الانشغال بموضوع الدين، ولكن خطورته تتأتي من اعتبار الوطنية والقومية هي بدائل عن الدين، وكان أبطال الوطنية والقومية هم أئمدة هذا العصر، وكان الوطنية صارت ديناً جديداً.

٥- ظهر زعماء العرب السياسيين سواء من نصارى أو مسلمين برأى: هو الأخذ بالوطنية (لدى البعض) وبالقومية (لدى البعض) مع السكوت عن

كانت الحرب الأهلية المارونية ١٨٦٠ في لبنان هي الشرارة التي أوقدت شعور حب الوطن بدليلاً عن الدين لأنه لا يمكن إخراج الحرب إلا بشعور حب لوطن مشترك .

و بعد الحرب الأهلية ظهرت منشورات في دمشق و بيروت و طرابلس تكرز الوطن و المصالح الوطنية و تتخذ هذا مدخلاً إلى الطعن في تركيا الخلافة بمقولة غير مباشرة ، كأن تقول أن الترك ضد العرب ثم تدرج إلى أن الترك يستبدون بالأوقاف الإسلامية ثم إلى القول بأن الترك لا يفهمون الشريعة ولا الإسلام كذلك .

هذه المنشورات ظهرت في وقت كانت أوروبا تهجم على أملاك الدولة : روسيا تكاد تصل لاسطنبول ، بريطانيا تدخل مصر ، فرنسا تدخل تونس ، إيطاليا تدخل ليبيا ، وكأنما أصحاب المنشورات السابقة كانوا طابوراً خامساً لهؤلاء الغزاة .

بعدما اشتعلت النار في دار الإسلام - صرخ جمال الأفغاني يبنه النيام إلى الحريق !! أخذ اسمه العروبة الوثيق شعاراً لمجلته تذكيراً بأن الإسلام هو هذه العروبة ، كان يتميز الأفغاني بأنه يطرح الأفكار بحملة . . . بينما تلميذه محمد عبده يطرحها مشرحة و مقررة ، كالمعيد بعد الأستاذ .

فكراً الأفغاني يمكن إدراكه من رسالة كتبها الشيخ عبد القادر الغربي إلى رشيد رضا و ذلك بعد تلقيه مع الأفغاني في الآستانة : لا خير فينا إذا لم ي見 تقدمنا على قواعد ديننا و قرآتنا ، إن ما زرناه مما يدو كأنه تقدم أوربي هو عين الانحطاط والتهميش لأننا في هذا التمدن أو التقدم إنما نحن مقلدون للأمم الأوربية ، وبعد زمن طويل أو قصير سوف نخضع للذلة والسلطة الأجنبية ، أو قد تتبدل صيغة الدين الإسلامي إلى صيغة خمول ، ثم يقول : للتوصل إلى التمدن الحقيقي

لابد من حركة أو ثورة دينية تخليع فيها مارسخ في عقول العوام و الخواص من فهم غير شرعى ، ونبت العقائد الدينية الحقيقة ، و لابد من تهذيب علومنا و تقييمها بتأييف كتب قرية المأخذ بخرض إصلاح الوطن و إصلاح الأمة و تعزيز الدين .

هذا ما فهمه عبد القادر المغربي من جمال الأفغاني كاشرحة إلى رشيد رضا : كان غرض الأفغاني خلق حركة أو ثورة إسلامية ترفض مفاهيم الخضوع لأوروبا و تبسيط حقائق الدين للرجل العادى .

ولكن أوجس بعضهم و منهم نصارى الشرق خيفة من مشروع الأفغاني عن الجامعية الإسلامية و قالوا : إنها تعارض الرابطة الوطنية بين أتباع الأديان الثلاثة من أبناء كل وطن واحد .

هنا لم يكن محمد عبده حاسماً و لا بارتاً و لكن كان متربداً : إذ رد على هذا في جريدة العروبة بقوله : لا يظن أحد من الناس أن جريدة تخصيص المسلمين بالذكر و مدافعتها عن حقوقهم تقصد شقاقاً بينهم و بين غير المسلمين في أوطانهم ، أو أوطان تجاور أوطانهم و يتلقون معنا في صالح بلادهم و يتشاركون في المنافع منذ أجيال طويلة ، ليس هذا شأننا ، و لا نميل إليه و لا يبيحه ديننا و لا تسمع به شريعتنا ، ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً و المسلمين خصوصاً من تطاول الآجانب عليهم و الإفساد في بلادهم و إنما تخص المسلمين بالذكر لأنهم العنصر الغالب .

هذا كلام أعطى المصلحة الوطنية المشتركة بين المسلمين و غير المسلمين أولوية على المصلحة الإسلامية و اعتذر عن مجرد ذكر المصلحة الإسلامية بأنهم ذوو أكثرية و لكن وطنيون مثل غير المسلمين .

و أوربا أو بين الفريسة والأسد ، و اتهى الأمر بالسياسة الأوربية وبالالتزام الأسدي للفريسة .

يمكن أن نقول إن محمد عبد رشيد رضا لم يدرك أبداً عاقبة الوطنية وافتراضها للدين ، ويدو أن «كروم» ، كان متوقعاً في محمد عبد هذا : لأنّه اختاره وهو بعد قاض شاب صغير و التقى و دفعه فوق الصفوف و وصل به إلى مركز مفتى الديار ، ووصل تعاون محمد عبد مع الانجليز لدرجة أن دعى لزيارة البرلمان البريطاني و أخذت له صورة تذكارية لا تزال موجودة .

لم يقدر جمال الأفغاني ولا محمد عبد رشيد رضا عاقبة حلول الوطنية مكان الدين ، ولكن كان عندهم بعض الشك في أن هذا قد يحدث ، ففي منفاه في بيروت عام ١٨٨٦ كتب محمد عبد إلى شيخ الإسلام في إسطنبول مذكرة عن حال التعليم في الدولة العثمانية و في مصر فقال : من ظن أن اسم الوطن و مصلحة البلاد و ما شاكل ذلك من ألفاظ قد يقوم مقام الدين في إنهاض المهم و سوقها إلى الغايات المطلوبة فقد ضل سواه السبيل . هل يعني محمد عبد أن الدين و الوطنية من صنف واحد ؟ ولكن الدين أقوى أثراً فقط ، إن كان هذا هو فكره يكون فكرآ حسن النية و مخلوطاً و خطيراً أم هذا تأرجح فكره بين الدين و الوطنية ؟ هناك تأرجح فكر آخر له يذكره رشيد رضا عن رأي الإمام في مسألة العرب و الترك : يقول محمد عبد : إن العرب أجدروا الشعوب بالاستقلال طبيعة بلادهم ، وشجاعتهم ، ولما ورثوه . ولتأريخهم ، وللعمق الراقي ، ولو وجود روح الاصلاح في القرآن ، وفي السيرة النبوية العطرة ، ولكن الترك سلبهم كل شيء فقرروا و تصادوا و استحوذوا عليهم الجهل ، فيجب أن يبدأ العرب بالعلم و كسب الثروة و سنجح الفرصة و لا يجوز لهم بحال من الأحوال

و أما رشيد رضا فقد أحس و لاحظ هذا التردد و التذبذب و سكت عليه و فسره بقوله : إن أستاذه محمد عبد يرى أن الوطنية ، هي تعاون جميع أهل الوطن الواحد المختلفة الأديان من أجل عمران حكومة هذا الوطن ، وأن هذا لا يعارض الدين الإسلامي في شيء . . . فتوى خطيرة .

و هكذا نرى أن هناك منزلاً تدريجيًّا : أول خطوه أن مسلمي كل وطن لهم صالح خاصة بالدين تستدعي توثيق عرى الأخوة بين المسلمين عبر الأوطان المختلفة ، الخطوة الثانية أن المسلمين لهم أيضاً وبجانب ما فات مصلحة وطنية يشتربكون فيها مع اليهود و النصارى في داخل الوطن ذاته ، و لا تناقض بين المصالح الدينية الإسلامية التي تستوجب أخوة إسلامية و بين المصالح الوطنية العربية التي تستوجب أخوة نصرانية يهودية إزلاق تدريجي .

هذا ما سلم به ثلاثة من زعماء الفكر الإسلامي : الأفغاني ، محمد عبد ، رشيد رضا ، خصوصاً محمد عبد رشيد رضا . و معنى هذا أنهم قبلوا الرأي الأوروبي عن الوطنية و القومية دون نظر إلى العواقب التي تترتب على ذلك ، وهذا يشبه موافقة علماء الدولة العثمانية — بعد تردد — على إنشاء نظام تعليمي أوربي مواز لنظام الإسلام في التعليم فكانت التحية أن تغلب النظام الأوروبي على النظام الإسلامي في التعليم تنتلاً فادحاً .

كذلك كان تغاضي الأفغاني و محمد عبد رشيد رضا تغاضياً فيه حياء أو جاملة أو تسوييف إلى السماح بالفكرة « الوطنية » ، أن تسكن في نفس البيت مع الفكرة الإسلامية و بمضي الوقت طردت الفكرة الوطنية تماماً الفكرة الإسلامية و استقلت بالبيت .

هذا ما نسميه الآن المذهب التوفيق ، حاولوا أن يوفقاً بين الإسلام

ورحب بها طبعاً عرب مسيحيون مثل رشيد سليم الخوري في قصيده : سرف فتوحك فالشام قرية وحسين قد وافى بكل هصور ولم يتحقق الاستقلال، لأن بريطانيا وفرنسا اتفقا سراً على تقسيم أرض العرب بل إن فرنسا جزأت أرض الشام إلى دواليات ، وبريطانيا وعدت اليهود بوطن قومي في فلسطين .

و هنا بدأت فترة الوطنية : حيث وقف أبناء كل وطن عربي من نصارى أو مسلمين في صف واحد للجهاد ضد الانكليز والفرنسيين والوهابية سواء في سوريا وفي مصر ، وأصبحت فكرة الرابطة الإسلامية أو الخلافة أو رابطة الدين السياسية مؤجلة أو موقوفة أو غير صالحة لمواجهة المستعمر .

فشل الحركة القومية العربية بقيادة حسين بن علي أدى إلى دخول الاستعمار كل شبر في أرض العرب وأدى إلى ظهور الحركات الوطنية لتحمل هي المسؤولة على العموم هذه كانت أول درجة في سلم المبوط :

الحركات الوطنية قادها رؤساء العشائر وأصحاب الثروة والبرجوازية والإنجليزية التي تعلمت في أوروبا ، ولكن الملوك كانوا من بريطانيا وإن كانت بريطانيا فشلت في استخدام هؤلاء الملوك ضد الحركات الوطنية إلا أنها نجحت في استخدامهم لاحتلال أو تبييع أو تطبيع ثورة فلسطين الوطنية ، ثم في منع نشوب حركة ثورية فلسطينية عربية بدخول الملك جيوشهم إلى فلسطين بدعي ظاهرها التحرير و باطنها اقسام الجزء المسموح به للعرب فيما بين ملك هذه الجيوش مع ترك الباقى لليهود .

كارثة فلسطين هذه أدت إلى نتيجة هامة من ضمن النتائج العديدة: هذه النتيجة هي : تعرّيب وطنية نصارى الشرق العربي ، سواء في الناحية السياسية أو الناحية

(٢٧)

أن يخرجوا على الدولة العثمانية لما في ذلك من سوء العاقبة .

في نفس الوقت يقول الإمام محمد عبده : إن الخلافة هي ثلاثة العقائد بعد إيمان بالله و بالرسول وإن علينا أن نحي عليها و نموت عليها و يحذر من الخروج على هذه الخلافة ، كيف يجتمع هذا مع دعوته لاستقلال العرب ؟ إذن يedo تأرجحه الفكري واضحًا جداً في موضوع العرب و الترك كما بدأ في موضوع الدين و الدولة .

هل كان موقفه توفيقياً بين الغرب و الشرق أم هل كان موقفه تارجحياً بين الشرق و الغرب ، أم هل كان فكره بدائيًا و دراسته غير كافية للامتحان القاسى ، أم هل كان يتجاذبه تيار أصيل فيه هو الإسلام يقابلة تيار وافد قوى التأثير و التغريب ، أم هل كان هذا و هذا و هذا مجتمعة معًا .

جاءت درجة المبوط الأوضح من الكواكب و هو سورى دعا صراحة إلى الاستقلال العربى عن الدولة العثمانية بل دعا إلى إعادة الخلافة إلى الغرب و هي نفس الحجة التي استخدموها الانجليز و مكتب مخباراتهم بقيادة المستشرق هو جارت في تنفيذ ما سمي الثورة العربية الكبرى للشريف حسين بن علي ، كانت ثورة قومية عربية أكثر منها دينية إسلامية ، قادها أو أعلنها زعيم عرب من سلالة النبي عليه السلام ضد دولة الخلافة ، بعد اتفاق سرى مع دولة نصرانية كبيرة هي بريطانيا العظمى ، التي وعدته باستقلال البلاد العربية و خاطبته كممثل للإمامية العبرية ، ومحظ له بإمكان إعادة الخلافة إلى العرب .

ورحب بهذه الثورة عرب مسلدون مثل فؤاد الخطيب في قصيده :

حى الشريف وحى البيت و الحrama و انهض فئاك يرعى العهد و الذاها (٢٦)

الشعري و كلمات مترجمة أو منحوتة .

ثم تغير الفكر الديني و السياسي و الانجوي دون فلسفة سابقة له ترشده و تحدده و ترسم له : أى أن العمل سبق الفكر ! و جاء الفكر ليرد و يزكي و يفسر ما حدث ، و هكذا نشأ مبدأ القومية العربية و انتشر : وبعد أن قبله العرب أخذوا يعرفونه و يفسرونها و يفلسفونها ، وكل الكتابات عن هذه القومية جاءت بعد الحرب العالمية الثانية و قيام الجامعة العربية و من موظفي هذه الجامعة نفسها و على رأسهم ساطع الحصري ، وهو حلبى شامى اشتغل في وزارة المعارف تحت رئاسة فيصل في سوريا ثم العراق ثم صار مدير المعهد الثقافى للجامعة العربية و اقتلع كتاباً كثيرة افتعالاً عن القومية و ادعى « أنه لا الدين ولا الدولة ولا الحياة الاقتصادية »، تدخل في مقومات الأمة الأساسية، إنما أساس الوحدة هو اللغة و التاريخ فقط !

و الواقع أنه نقل نقالاً بغاً أفكاراً غربية دون تحقيق ، إرضاء فيصل بن حسين و مدرسة فيصل السياسية ١

ثم جاء منيف الرزاقي و عرف القومية العربية بأنها شعور جامع للإمام العربية مستمد من الأرض أولاً ثم اللغة ثم التاريخ ثم الدين الإسلامي ثمصالح المشترك بهذا الترتيب .

ثم قد يجيء من يضع تعريفاً آخر ، و هكذا يتضح أن القومية مورست بدون لائحة إرشاد ولا نظرية و أن النظرية لغاية الآن موضع صناعة و صياغة و نقد و ربما تلغى تماماً .

هذا التوهان الفكرى يبدأ منذ محمد عبده و رشيد رضا و لا زال قائماً ، هذا مع فشل و سقوط العمل السياسي نفسه من حسين بن علي إلى جمال عبد الناصر

الثقافية ، و بلغ هذا التعرّب درجة عالية جداً في شئون التعليم ، أصبح هناك جبهة بين الوطنية من جهة والعروبة من جهة ، هذه الجبهة واجهت الرابطة الإسلامية أو الدينية ، كانت الوطنية و العروبة شابة و فتية و قوية بينما الرابطة الإسلامية كانت في مرحلة الشيخوخة و سن اليأس و تكاد تختصر .

نسى العرب أنهم مسلموں ونسى الوطبوں أنهم مسلموں و تذكروا فقط مع النصارى و اليهود الوطن والعروبة ، أصبح هناك اتحاد عربي من المسلمين والنصارى في الميادين السياسية و الثقافية و التربية و الاقتصادية ، الخلاصة أن النصرانية تعرّبت أمام نظام الله العثماني فقد قضى عليه نهايًّا .

أخرج الدين تدريجياً من حساب المفكرين ثم خرج أيضاً من حساب الدولة وإن ظل حياً في قلوب المؤمنين ، ولكن لم يعد العامل الأول في السياسة ، و يعتبر المسلمين هم المسؤولين عن هذه النتيجة ، لأنهم أخذوا المبدأ الأوروبي القائل بفصل الدين عن الدولة بصورة تجريبية ثم بصورة قطعية .

و حصل مثل ذلك في التعليم حيث حدث تحول من التربية الإسلامية إلى التربية الوطنية ثم حاكها في ذلك كل الدول العربية ثم حدث أخطر شيء هو تعرّب اللغة العربية بوضعها في قوالب غربية واستعمال كلمات و صياغات و أفكار غربية ، و فكر بعضهم في استعمال حروف لاتينية أو استعمال العامية وكان كل العاملين في هذا الميدان في أول الأمر من النصارى ثم أطلق عليهم بعض المسلمين دونوعي ، ويمكن أن نقول إن العربية تضررت في أمريكا على يد مهاجري لبنان و سوريا وبعد قيام أستانة الشئون العربية والإسلامية من نصارى الشام : ففي ١٩٢٠ أسس عشرة منهم في أمريكا ما يسمى الرابطة العلمية برئاسة جبران خليل جبران وأعلنوا إعراضهم عن أساليب القدماء و معانيهم اللغوية و أدخلوا الشعر المنثور و النثر

عندما يمكر الأقوية بالضعفاء

دكتور غريب جمعة

لم يكن الغزو السوفيتي الغاشم لأفغانستان الإسلامية ولد المصادفة ولا تاج نشوة سكر لعبت ببرؤس القياصرة الحر بقصر الكرمانيين ، وإنما كان تديراً شيطانياً حكم الحلقات محسوب الخطوات ، ذلك لأن أولئك القياصرة يسلّل لعابهم لأفغانستان منذ عقدين أو أكثر من الزمن إذ يعتبرونها « البوابة » إلى المياه الدافئة حيث يسيطرُون على منابع البترول ، لذلك كان لا بد من مقدمات تنتهي بهذا الغزو الوحشي ، من هذه المقدمات ما سبقه من غزو فكري جعل النزرة الشيوعية العفنة تعيش في بعض الأدمية الفارغة ، فأصبحت لا ترى إلا بعين موسكو ولا تكلم إلا بلسانها ، و لهذا لم يكن عجياً أن تذيع وكالة ناس السوفيتية في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٧٩ نبأ برقية من عميل موسكو ومطيتها « بباراك كارميل » يطلب فيها مساعدة عسكرية من موسكو ، وقد سارع الدب الروسي الهالك « بريجنيف » بالرد على تلك البرقية برقية مائة للهندسة و بقوات غازية مزودة بأحدث وسائل القتل والتخدير ، ومن بين هذه المقدمات أيضاً حالة التردى و الانهيار التي تصيب الشعوب فتسليها إلى الفقر والحرمان والتخلف على أيدي الطغاة من حكامها حينما يتلون بخلافاتهم على السلطة ضاربين عرض الحائط بمصالح شعوبهم ، وهذا ما حدث بالضبط في أفغانستان .

ومثل تلك الحال تجعل من الشعوب تربة خصبة تفتح أحضانها للنفرة الشيوعية ، كأنها المنفذ الوحيد غير ناظرة إلى ما يتربّ عليها من تأثير و أهداف

(٢١)

انتهى بكارثة ٥ يونيو ١٩٧٧ . هل كان محمد عبده هو النقطة الأولى في خط التوهان . الخلاصة : إنه خلال المائة سنة السابقة لم يقم المفكرون العرب بمهمة قيادة رجال الحكم و السياسة ، بل كان رجال السياسة و الحكم هم الذين يهبون بالشئ ثم يقوم المفكرون بالتبير و الاققاء و وضع النظرية . و هذا أوضح ما يكون في حسين بن علي ثم جمال عبد الناصر و موقفهم من مفكري زمن كل منهم . ولكن حتى قبل حسين بن علي في فترة محمد عبده كان أمثال محمد عبده من المفكرين لم يحددوا حدوداً فكرية واضحة ولم يصوغوا نظرية ولا مذهبها واضحأ و تراوح موقفهم بين التأرجح في مواجهة المجمعة الامبرالية ، وإنه خلال هذه المجمعة فرطوا - عن ضعف فكري - في تراجم الفلسفى والدينى واللغوى ، وقدم لهم المستعمر بعض العزا ، بادعاء تقديمهم أو باسناد مناصب إليهم أو بالابتسام السياسي لهم ، وقد يدو في حكمنا هذا قسوة باعتبار أن مقاييس عصرهم لم تكن بوضوح مقاييس عصرنا الحالى ، ولكن المؤكد أن ١- فكرة الملة الإسلامية انتهت ٢- الدين تم فصله عن الدولة ٣- أصبح السكوت مفروضاً كسياسة ٤- استعملت اللغة العربية كأساس للوطنية ٥- تصررت العربية أحياناً و تعربت أحياناً واستقلت عن الدين بعد أن كانت وعاء يحتويه .

ولعل هذه مجرد مراجعة للنفس

هامش : استفدت جداً من دراسة أجرتها جامعة كيمبردج عام ١٩٦٩ عن الدين في الشرق الأوسط بإشراف يروفسور ارتاربرى أستاذ العربية بـ كامبردج وقد اشتراك في الدراسة ٢٤ باحثاً ليس منهم مسلم إلا أربعة - هندي و إيراني و إنجليزى و عربي ، و استفدت من اتخاذ موقف نقدي لآراء البعض و اتفاقى مع البعض .

(٢٠)

المؤمنين إلا بعض التصلب من ستالين حول بولندا ورومانيا حيث رفض (أى ستالين) أن يكون لواشنطن أى نفوذ في هاتين الدولتين، لأنهما من دول الستار الحديدي.

و دور رجل الشرطة العالمي يعني أن تتدخل الدول الكبرى والقوية في شئون الدول الصغرى والضعيفة بدءاً بالغزو الفكري واتهامه بالغزو العسكري وبحسابات متفق عليها بين واشنطن وموسكو بحيث لا تصطدم إحداهما بالأخرى أو تقف في طريقها ! .

وفيما عدا ذلك فكل شيء مباح : القتل والتدمير والاحتلال ، ولا بأس من التقادم الدعائي وإلقاء الخطاب الرنانة والبيانات النارية وتجنيد الآباء وركوب المطايير التي تدور في أفلاكهما ذراً للرماد في العيون وتقننا في الخداع والتضليل ، ولكن ذلك كله لا يغير شيئاً من اختصاص رجل الشرطة العالمي المتفق عليه بين القوتين العظيمتين ولنضرب على ذلك مثلاً :

عقد المجتمع الأوروبي ورابطة دول جنوب شرق آسيا مؤتمراً في كوالالمبور في ٧ إلى ٨ مارس (آذار) ١٩٨٠ وكانت المادة الثالثة من البيان المشترك

للمؤتمر ما يلي :

· أعرب وزراء خارجية الدول الأعضاء في رابطة دول جنوب شرق آسيا ووزراء خارجية الدول الأعضاء في المجتمع الأوروبي عن قلق بالغ لتدخلين مسلحين سافرين من قبل دولتين أجنبيتين ضد دولتين من دول عدم الانحياز في آسيا، هما : التدخل الفيتنامي المستمر في كامبوديا والتدخل السوفيتي المسلح في أفغانستان ، وكان القاسم المشترك بين التدخلين فرض الإرادة على دولتين صغيرتين مستقلتين من قبل دولتين أجنبيتين عن طريق استخدام القوة في اتهامك سافر للقانون الدولي

مملكة لأن من يعيش الأسرؤ لا يفكر في السبي ، كما أن بعض الضالين المضللين يزبون الناس هذا الباطل بحججه أن مرارة الدواء مقبولة ومستساغة في سبيل الشفاء ، وتلك حجة داحضة تتطوى على تضليل أشباه بسراب بقعة يحسبها الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجدوه شيئاً .

و لقد اختلفت ردود الفعل العالمية نتيجة لهذا الغزو البربرى ، أما ردود الفعل عند الدول العربية والإسلامية فهي دون المستوى بكثير وإن عاق الصيحات والاستكارات ، أما أمريكا فقد ادعت أنها تقدم للمجاهدين الأفغان المساعدات تلو المساعدات وهذا ادعاء لا دليل عليه ولا أساس له من الواقع كما صرخ بذلك رئيس اتحاد المجاهدين الأفغان ، وهذا الموقف ليس بالمستبعد من أمريكا ، لأنها تنظر إلى الغزو السوفياتي على أنه نوع من التوازن لأن حروب الغزو العسكري قسمة ليست ضئيل بين أمريكا والاتحاد السوفيتي !! .

وليس ذلك رجماً بالغيب و لكنه الذي يرجع إلى مؤتمر « يالتا » الذي عقد بين الرئيس الأمريكي « روزفلت » و الزعيم السوفيتي « ستالين » في الفترة من ٤ إلى ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ يجد الدليل على ذلك .

لقد كان مستشارو الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت للسياسة الخارجية هم :

- ١- فريل هاريمان .
- ٢- адмирال ولIAM ليهي .
- ٣- جيمس بايزر .
- ٤- جيمس تورستال .

و قد ذكر هؤلاء المشاورون :

أن محاولات بذلت لعقد صفقات بين موسكو و واشنطن بأفغان يقوم كل منها بدور معين و على مستوى « رجل الشرطة العالمية » في عالم ما بعد الحرب (الحرب الكونية الثانية) ، ولم يكن هناك خلاف على ذلك بين

مهددين بذلك السلام والأمن الدوليين .

وقد دعوا إلى تنفيذ مبكر بقرارى الجمعية العامة للأمم المتحدة رقمي ٢٤/٢٢ و ٦/٢ الصادرين في ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ م ، ١٤ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٠ على التوالي بما في ذلك الانسحاب التام للقوات الأجنبية من كامبوشيا وأفغانستان .

ولقد مر على ذاك المؤتمر ما يقرب من ست سنوات تضاعف خلالها الدخل السوفيتي المسلح في أفغانستان ، ولم تسمم أمريكا بشئ من مساعدة المجاهدين إلا بالدعابة الاستهلاكية والاشارة من طريق خفى بأنها على اتفاق كامل مع موسكو على كل ما يدور في أفغانستان ، كما أن موسكو لن تسحب قواتها المجرمة من أفغانستان إلا بعد أن تضمن وجودها الدائم فيها في صورة بغاوات وعملاه وأجراء يتكلمون بلسانها ويرون بعيتها ويطشون بديها إذا لزم الأمر .

والآن ما هو رأي الشيوعيين في العالم العربي والإسلامي إزاء هذا التدخل السافر ؟ .

وحينما نطرح مثل هذا التساؤل فليس عن جهل برأي الشيوعيين في ساداتهم ولكن ليحذر المفتونون من الشباب البريء من أمثال هؤلاء العملاء والأفakin إن الشيوعيين العرب بالنسبة للتدخل السوفيتي الآثم في أفغانستان : صم لا يسمعون . عمي لا ينظرون .

بكم لا ينطقون ، بل قد يرون في المجاهدين الأفغان قطاع طرق خارجين على الحكومة الشرعية يجب تأدبيهم !

ولكن حينما يحاكم عميل شيوعي في إحدى الدول ويلاق القصاص العادل

تقوم دنيا الشيوعية ولا تقدر على نحو ما قال القائل :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغفر

وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر !

أيها العرب، أيها المسلمين انتبهوا قبل أن تحولوا إلى موالين يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون، انتبهوا، فإن مشكلاتكم لن تحل في واشنطن ولا موسكو، ولا باريس ولا لندن، وإنما تحل على أرض إسلامية وبأيد متوضئة على مستوى صلاح الدين الأيوبي رحمه الله .

انتبهوا واعتبروا بالأحداث وتعاملوا مع هؤلاء الناس بوعي كامل بما يحيط بهم ولا تنسوا توجيه الخبير العليم الحكيم لكم في قرآنه الكريم حيث يقول عز من قائل :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، و من يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصيبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » (المائدة / ٥٢ ، ٥١) .

و يتلو التوجيه والتحذير :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كتم مؤمنين » (المائدة / ٥٧) .

و من أصدق من الله قيلا ؟ و من أصدق من الله حديثا ؟

المقياس الإسلامي للنقد الأدبي

الدكتور محسن عثمانى الندوى
الأستاذ المساعد في قسم دراسات غرب آسيا
جامعة جواهيرلال نهرول - نيودلهي

ما كان الدين خارجاً من نطاق الأدب في أي زمان بل الواقع أن الأدب قد نشأ وترعرع في حاضن الدين في جميع الأقطار والأمصار، وإن هذا الانفصال وقطع الأواصر بين الأدب والدين ظاهرة جديدة تولدت في العصر الحديث عند ما ذاعت وانطلقت الفكرة العلمانية في أوروبا وتم الانفصال بين الكنيسة والدولة، الواقع أن كايمها مرتبط واحد بالآخر ارتباطاً طبيعياً لا فكاك بينهما، وإن الخصم بينهما لا يقع إلا في ظروف تاريخية ولا سباب خارجية وطارئة في فترة من الزمن، فزمان قسوة أهل الكهنوت على رجال العلم ليس ببعيد وما يوم حلية بسر، لقد صب أهل الكنيسة جام الظلم والاضطهاد على العلماء حول مسائل كروية الأرض وجازيتها فنشأ الأدب العلماني المضاد للدين في خضم هذا الصراع وناء بكلكله المسموم على القيم الأخلاقية والروحية ونادي بالتحرر من الدين واعتبر الفكرة الدينية حرباً على الفن ومطاردة له وأمعن رجال الأدب العلماني في تشويه صورة أهل الدين ففضحوا عيوبهم و مثلوهم في صور تبعث على الاشمئزاز والامتعاض و يتندى لها الجبين .

و من سوء الحظ أن الأدباء والكتاب في الشرق الإسلامي - في المندى على ساحة العالم العربي - اقتفوا آثار الغرب وسلكوا على منواله ، لئنهم قلدوا الغرب في الصنوف الأدبية الحديثة مثل القصة والرواية والمسرحية - لئنهم أخذوا

هذه الأصناف من الأدب بعد احتكارهم بالغرب ولم يأخذوا الفن والتكنيك و الشكل فحسب بل أخذوها بضمائهما و موضوعاتها و قلدوه تقليداً أعمى ، فبدأوا يصورون أهل الدين في رواياتهم وقصصهم تصويراً بشعاً كأنهم فقدوا العقل والشعور و عاطلون من الأدب و مكارم الأخلاق ، فأصبح دور رجال الدين في الأدب الحديث دوراً موججاً يوحى بالفور والازدراء - و شهد العالم الإسلامي حركة التغريب والارتباك من ينابيع الفكر الغربي ، ومن قاموا بهذه الحركة لطفي السيد وقاسم أمين وسلامه موسى و محمد شعلان ولويس عوض و زكي نجيب محمود ومن لف لهم ودب ديبهم هؤلاء وأمثالهم وأتباعهم في عصرنا هذا فبثوا الأفكار الزائفه المستوردة و زينوها و مازالوا في النفوس وفي الجيل الجديد وراء ستار الفن والأدب و باسم الفن للفن أو باسم الواقعية و باسم الوجودية و تحت المصطلحات الجديدة الأخرى - فانا نرى الآن أن أسنان قرش الأدب الماجن والخليل تعصنا من كل جانب بلا هوادة ، ولا ترقب فينا إلا ولا ذمة ، ولم يكن أمامنا مفر من الالقاء على مائدة الجحامة والآلم .

فقد آن الآوان أن تستقر الأقلام الإسلامية لدحض الباطل و مطاردته واسترجاع سلاح الأدب وإخلاء الساحة الأدبية من الكفرة الفجرة كيلاً يتمكنوا من تزييف صورة الدين وأهل الدين ولما تعلو كلمة الحق ، والحق يعلو ولا يعلى . ومن الأدعية المأثورة « اللهم أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتباها ، وأرنا الأشياء كما هي : فإن الرؤية الصحيحة إلى الكون والإنسان و الطبيعة هي الحق ، وإن الانحراف عن ذلك هو الباطل ، وإن الرؤية الصحيحة هي رؤية إسلامية فإذا ما قررنا أن إسلامية المقياس هي الحق و ما خلماها هو الباطل ، فلا يكون الأدب إسلامياً إلا إذا تأصلت جذوره ، في القيم الإسلامية (٢٧)

حسن كأنج كرانياً يتجه مل جانا
تو نه فرهاد نه كهودا كهوي ويرانه دل
يلمع الشاعر إلى قصة «شيرين وفرهاد» الفرامية الفارسية ويقول مخاطباً لفرهاد
الذى حاول شق نهر الخليب من الجبل: بامكانك أن تتعثر على كنوز الحسن والجمال
الدافئة الثمينة ولكنك لم تحفر أبداً خراب قلبك وفؤادك وأتعبت نفسك في
تقليب جلود صخر.

فإن أدبنا الذين يحاولون الجري وراء هذه الانحرافات الأدبية الأخلاقية
المتفشية في المجتمعات الغربية، إنهم يزيفون الواقع ويهملون دون تفكير وروية،
إن الأدب الإسلامي الذي ينحتمم الآن تحت لوائه لا يتمتع عن ذكر الجنس ولكنه
يتعرض له، بطريقة إيجابية وبناء - توجد في القرآن الكريم سورة يوسف وفيها
قصة تناولت قضية الجنس وقضية الضعف البشري بكل ملابساته، وإنحرافات النفس
الإنسانية ونزعوها إلى الشر، ولم تكتف القصة على تصوير مواطن الضعف فقط
بل صورت جوانب إيجابية بما فيها العفة والطهارة والانتصار على الغرائز الحاكمة
وصراع العنيف بين الفضيلة والرذيلة، إنها قصة جنس بمعنى الكلمة، وبكل
مقومات القصة وبعنصر الإثارة والمتابعة ولكن تنتصر الفضيلة على الرذيلة وقوة
الروح على النزعات الجسدية في النهاية، ويقف بطل القصة إنساناً كبيراً صامداً كالعلم
في مواجهة الثورة الغريبة الحارقة.

إن الأديب المسلم يستجد هذه الروح الإسلامية ولا يرغب في إنشاء نزوات
الجنس، إنه عف اللسان وعف القلم، إن ضميره يعاف إثارة غريزة الجنس المثلية
بل يحاول تهدئتها ويقف موقف الاعتزال، لأن الجنس ضرورة للنمو البشري
على المعمورة.

إن رؤية الأدب إذا خالفت الرؤية الصحيحة وهي الرؤية الإسلامية فكان
خرج على الحقيقة والواقعية وضل في متاهات الجهل والهوى وانحرف عن
الдорب الصحيح، وظلم نفسه وغيره وفسد وأفسد وأضل وسبب ظلمور
الفساد في البر والبحر، فإن حقيقة الأدب الإسلامي هي اجتماع المقاييس الفنية
الأخلاقية والفنية والجمالية والشعرية أو شعرية، هناك كثير من
المقاييس للنقد الأدبي بما فيها مقاييس بلاغية وبيانية ونحوية ولغوية وإنسانية
وعقلية، إن الأدب الإسلامي لا يلغى هذه المقاييس بل يدعمها ويقويها إن القرآن
الكرم في مكانة أرفع من ناحية هذه المقاييس، والأدب الإسلامي المستمد من
القرآن أو روح الدين يضيف إلى هذه المقاييس مقياس الرؤية الصحيحة والصالحة
والأخلاقية، وإن الأدب الإسلامي هو أدب (ملتزم) و هادف مثل الأدب
الشيوعي الماركسي - يستمد الأدب الماركسي القوة من نظريات ماركس وأتباعه،
النظريات التي هي معاول هدم للإنسانية - إن الأدب الإسلامي يستمد من روح
النبوة التي هي الرحمة للبشرية جمعياً ولكل عصر ومصر.

إن الأدب الإسلامي يراعي كل الرعاية المقاييس الجمالية والفنية، إن الله
جميل يحب الجمال، إن الدين إنما هو جمال العقيدة والسلوك، وإن الأدب
غير الإسلامي الناشي في أحضان الغرب وأركان المجتمعات الحديثة يقوم بالاحتلال
في النظام، إنه يحرض الشهوات العارمة للجنس وإنه لا يرى الجمال إلا الجمال
الظاهري ولا يعرف المتعة إلا متعة الجسد، ويفحش في مغازلة النساء ويرغب في
إثارة أو إسعاد الجنس في النفوس، إنه لا يعرف حقيقة الجمال و انعكاسات الجمال
الalchemy، وفي ذلك قال الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال.

إن الشعر بمعزل عن الدين ولكنهم استنكروا تلك الآيات التي تطاول فيها الشاعر على الذات الالهى أو شوه صورة الدين أو قام بتمويه المفاهيم الاسلامية، فهناك بحوث نقدية حول ضرورة القيم الاخلاقية في الأدب على امتداد تاريخ الأدب العربي الذي كان المحضن الأول للإدب الاسلامي ، فجده في هذا الميدان النبدي أدباء و نقاداً مشهورين مثل الباقلاني و الشعالي و ابن رشيق القيروانى و عبد القاهر الجرجانى والصولى و ابن شرف القيروانى والقاضى جرجانى و قدامة ابن جعفر و الأصمى و ابن مسكونى و ابن حزم ، و نجد في كتب الأدب وتاريخ النقد موافق مختلفه و يمكن أن نجد بعد ذلك من تغاضى عن غزل فاحش ولكن لا تجدن أحداً شجع هذه النزعة أو استحسنها أو شن الحرب في دعمها ، و على نقيض ذلك سترى كثيرين منهم أخذوا على هذه النزعة و اتقدوها نقداً لادعاً .

ولا ينبغي أن ننسى الفروق بين القديم والجديد وقد أصبح الأدب في هذا العصر الجديد أداة للغزو الفكرى و سلاحاً في أيدي المفكرين الصالحين المسلمين ولا يمكن أن نترك هذه الأسلحة المدamaة الفتاكه و اترسانت الكبيرة من الأدب في أيدي الخصوم الذين يريدون أن ينالوا من الفكرة الدينية ويهاجموا عليها .

و هذه هي المأساة التي نعاني منها نحن المسلمين في شبه القارة الهندية ، وهذه

هي الكارثة التي يقاسي منها إخواننا العرب المسلمين على صعيد العالم العربي ، هذا ولقد شاء الله أن يتم لنا لقاء ومعرفة وتعاون ثقافي مبارك (١) على خط فكري جمادى واحد لتمكن من الخروج من حالتنا المتردية الراهنة ونقوم بمناهضة الأقلام الآئمة المجرمة متواصين بالحق ومتواصين بالصبر في ظرفاً إسلامي المشترك العصيب حتى لا يبقى الباطل قوياً مصراً خده ومحتالاً على أرض ليست له .

فان الأدب الاسلامى يلتزم بالمقاييس الفنية و المقاييس الاسلامية في وقت واحد ، وإن هذا الالتزام بأساسين لازمين إنما هو المقياس الاسلامي للنقد الأدبي و يستخرج من هذا أن الأدب الاسلامي لا يتكون إلا بوجود هاتين الدعامتين ، دعامة الفن و دعامة الروح الاسلامية – فاذا تهدمت و انهارت إحدى هاتين الدعامتين فلا وجود على الاطلاق للأدب الاسلامي ، وإذا بقى أساس الفن و انهار أساس الدين انهار أساس الأدب الاسلامي – فلا مجال في الأدب الاسلامي لما هذا السبب ، و ناقل الكفر ليس بكافر .

سلام على كفر يوحد يتنا و أهلا و سهلا بعده بجهنم
الشاعر القروي عيد الوحدة)

ولا يحسين أحد أنه لا مجال لأدب الاستمتاع في الأدب الإسلامي ، إن الدين لا ينكر الاستمتاع بيهجات الدنيا ، وفي نصوص القرآن والسنة « ولا تنس نصيتك من الدنيا » و إن الدنيا خلقت لكم ، ولكنه لا يحب الاغراق فيه والأخلاق إليه ، إن الدين يحب الترويح عن النفس حتى لا يمل القلب فيجمد ، ولذاك أرى أن موقف الدين نحو أدب الاستمتاع موقف لين و لكنه لا يفضلها ولا يشجعها كثيراً حتى يجني على صنف الأدب المأذف الملتزم و إن المسلم شخص هادف فان أدبه أدب هادف كذلك .

و إذا سُئل أحد هل يوجد مصطلح الأدب الإسلامي في تاريخنا القديم
و لماذا الاصرار على ذلك ؟ فنقول إن الأدب قديماً كان إسلامياً ولم تكن أية
ضرورة إلى «أسلحته»، ولم تكن توجد المذاهب الأدبية المدamaة آن ذاك، فلم تكن
أية ضرورة إلى إيجاده مذهباً ومصطلحاً جديداً باسم الإسلام ولكن إذا استعرضنا
تاريخ النقد القديم فاننا نعثر بالضرورة على وجهات النظر الإسلامية والبحث حول
صلة الأدب بالدين و منهم من أيدوا و أثبتوا هذه الصلة الوثيقة و منهم من قالوا

من رايئن زانا:

غراس الأساس لابن حجر:

مخطوطه ترى النور

تحقيق و تعليق : الدكتور توفيق محمد شاهين
جامعة الأزهر

حث الاسلام على العلم ، و رفع درجة العلماء ، و جعلهم ورثة الانبياء ،
و أهل الثقة و الامانة ، و أصحاب الحشية من الله تعالى ، يؤدون العلم للناس
- كل الناس - ولا يكتمونه .

و قد أدى كثير من علمائنا - رضوان الله عليهم أجمعين - واجبهم تجاه الله
سبحانه و الانسانية ، و أسهموا إسهاماً إيجابياً في بناء صرح الحضارة الانسانية ،
ابتغاء وجه الله تعالى ، و حب العلم و الاسلام .

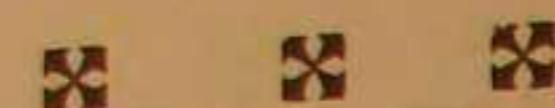
وبرغم الصعوبات التي واجهتهم في تعلم العلم و تعلمه ، و التأليف و التصنيف
وبرغم انعدام الوسائل التقنية في زمانهم فانهم ما قصروا في واجبهم برغم المشقات ،
و ما توافروا في الاسهام البناء ، لما فيه رفعه دينهم و رفاهية دنياهم ،
و سعادة الانسانية .

و بفضل الأقدمين من علمائنا نحن - و لله الحمد - من أغنى الأمم قاطبة
بالمخطوطات العربية ، أوصلها بعضهم في مكتبات الدنيا الشهيرة و المعروفة والمجهولة
إلى الملايين .

و ضاع على الانسانية الشيء الكثير من جراء الاعتداء التردد الغاشم على
مكتبة بغداد العظيمة ، و كذلك الاعتداء المبغي على مكتبات الاندلس عقب
خروج المسلمين منها ، فضلاً عن الكوارث الطبيعية كذلك ، بسبب الجهل وسوء
التقدير للكنوز العربية المخطوطة في تراثنا في دنيا المسلمين الواسعة .

مؤمناً أن يخرج الكتاب في صورة تناسب جلاله ، و شرف موضوعه ،
في أخطاء نادرة ، و موضوعية تحقق الأمل والنفع بفضل الله ، فان عثرت - مع
محاولة تجنب الخطأ ما أمكن - فعذرنا ، و إلا :

فإن ذا الذي ما ساء قط و من له الحسنى فقط ؟ !



حث الاسلام على العلم ، و رفع درجة العلماء ، و جعلهم ورثة الانبياء ،
و أهل الثقة و الامانة ، و أصحاب الحشية من الله تعالى ، يؤدون العلم للناس
- كل الناس - ولا يكتمونه .

و قد أدى كثير من علمائنا - رضوان الله عليهم أجمعين - واجبهم تجاه الله
سبحانه و الانسانية ، و أسهموا إسهاماً إيجابياً في بناء صرح الحضارة الانسانية ،
ابتغاء وجه الله تعالى ، و حب العلم و الاسلام .

وبرغم الصعوبات التي واجهتهم في تعلم العلم و تعلمه ، و التأليف و التصنيف
وبرغم انعدام الوسائل التقنية في زمانهم فانهم ما قصروا في واجبهم برغم المشقات ،
و ما توافروا في الاسهام البناء ، لما فيه رفعه دينهم و رفاهية دنياهم ،
و سعادة الانسانية .

و بفضل الأقدمين من علمائنا نحن - و لله الحمد - من أغنى الأمم قاطبة
بالمخطوطات العربية ، أوصلها بعضهم في مكتبات الدنيا الشهيرة و المعروفة والمجهولة
إلى الملايين .

و ضاع على الانسانية الشيء الكثير من جراء الاعتداء التردد الغاشم على
مكتبة بغداد العظيمة ، و كذلك الاعتداء المبغي على مكتبات الاندلس عقب
خروج المسلمين منها ، فضلاً عن الكوارث الطبيعية كذلك ، بسبب الجهل وسوء
التقدير للكنوز العربية المخطوطة في تراثنا في دنيا المسلمين الواسعة .

و إذا أضافت هذه المخطوطة لنبات كمال الأساس الزمخشري ، فهي أمارة
فهم و جمال علماء لابن حجر . .

وقد قدمتها حديثاً لطبعه ، ترى النور ، بعد عناه نسخ ، وتحقيق ، وتحقيق
وتعريف ، وتشكيل ، و جهد كبير .
تجدد موجز وصفه في هذه المقدمة :

البعث الاسدی

و علماً نا بتألیف هذه الکنوز برهنو للدنيا : أنا لسنا نقلة بريد ، أو مقلدين
لغيرنا ، أو أن غيرنا يفرقنا عتملية و ذکله وهمه . . بل إن الدنيا لتشهد أن ثقافتنا
كانت السبب في هضبة أوروبا و العالم الغربي ، حين صحو وغفونا ، و حين جدوا
، انددوا و تکاسلنا و تفرقنا .

وكان معظم تأليف علمائنا على أسس منهجية سليمة ، وتفكير متزن قويم .
شهد بذلك المصنفوون و المخلصون للعلم ، على نحو ما يحكى الدكتور على الخطيب
في رسالة « تراثنا المخطوط » ، عن المستشرق (فوتيل كرايمر) حين يقول :

في رحابه
، إن أعظم نشاط فكري قام به العرب يدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ، ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيين حين يلاحظون و يمحضون ، و حين يجمعون و يرتبون ما تعلموه من التجربة ، أو أخذوه من الرواية و بصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة و فكر وإبداع فانهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقول الرياضيات و الفلك ، و للسبب ذاته نجح العرب في التشريع ، و في وضع قواعد اللغة من نحو و صرف في شكل شامل محكم ، . . اه

فلا عجب أن جاءنا منهم سيل من روائع المخطوطات حين لم تكن هناك مطابع
وقد جد علماء العرب في البحث عن مخطوطاتنا و الالفادة والاستفادة منها
و نشر روائعها . . و بقى أن يجد العرب و المسلمين في ذلك الصدد أكثر مما
هو كائن ، حين صعوا و التفتوا إلى تراثهم ، و الله خير معين .

و مخطوطه ، غراس الأساس ، - التي نحن بصدده الحديث عنها ، و تحقيقها
والتقديم لها : إحدى روائع مخطوطاتنا ، ومن أعلى نصوصها ، لأنها حملت عنوان الكتاب
و اسم المؤلف ، و الاشارة إلى انتهاء الكتاب ، و موضوعها جليل ، لأنه يتناول

وله أيضاً : المفصل في التحوّل ، و المفرد و المركب في العربية ، و الحاجة بالسائل النحوية ، و الانموذج في علم العربية .

وله أيضاً : أساس البلاغة في اللغة ، ولم يلعن كتاب قبله في التبيين مبلغه ، فصل فيه - لأول مرة - بين الحقيقة و المجاز .

وكذاك له : المستقصى في الأمثال العربية ، و الدور السافرة في الأمثال السائرة و ديوان التمثيل ، و شفائق النعيمان في حقائق النعيمان ، و مقدمة الأدب في اللغة ، و ديوان الرسائل ، و ديوان الشعر و الرسائل الناصحة ، و القسطاس في علم العروض ، والنصح الكبير ، و النصائح الصغار ، و ضالة الناشد . . المن و من نماذج شعره نيس خلاه و صفاته ، و اعتداده بنفسه ، و تضرعه إلى ربه ، و سهره الليلي في طلب العلم :

يقول مادحأ تفسيره الكشاف كتقرير حقيقة ، لا كبراً .

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف

و يشد لغيره عند تفسير قوله تعالى : « إن الله لا يستحب أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » :

يامن يرى مد البعوض جناحها في ظلة الليل الهم الأليل
ويرى عروق نياتها في نحرها و المنخ في تلك العظام النخل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه في الزمان الأول
وقيل : إنه أوصى بأن تكتب على لوح قبره .

وندرك سر نبوغه و حرصه على طلب العلم حين يقول :

سهرى لتفريح العلوم أذلى من وصل غانية و طيب عناق
وتتمايل طرياً حل عويسة أشهى وأحلى من مدامة ساق

و صرير أوراق على أوراقها أحلى من الدواكة و العشاق

و ألد من نقر الفتاة لدفها نقرى لاق الرمل عن أوراق

أيست سهران الدجي ، و تبته نوماً ، و تبغى بعد ذاك لحاق

الأساس : هنجه و ميزته .

معجم أساس البلاغة ، للعلامة الزمخشري ، له قيمة كبيرة في دنيا المعاجم العربية ، لأنّه هدف - بجانب التوضيح اللغوي للفردات - إلى بيان و معرفة الحقيقة والمجاز في الأساليب العربية ، وهذا يعين على معرفة وجوه الإعجاز وأسرار البلاغة في القرآن الكريم ، و الحديث النبوي الشريف ، و النصوص العربية في أساليبها المتنوعة والممتدة ، و يساعد على الترسّب بتذوق البيان العربي بأسلوب عذب و حاكاه الأساليب الفصيحة في تعبير متنوعة أدبية .

يقول رحمه الله ، في مقدمة الأساس :

« و من خصائص هذا الكتاب : تغيير ما وقع في عبارات المبدعين ، و انطوى تحت استعمالات المقلفين . أو ما جاز وقوعه فيها و انطواه تحتها من التركيب التي تملح و تحسن ، و لا تقبض عنها الألسن ، كجرها رسالت على الأسلات ، و مرورها عذبات على العذبات . »

و منها التوفيق على مناجم التركيب و التأليف ، و تعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسوق الكلمات متناسبة لا مرسلة بداعاً ، و متناظمة لا طرائق قدداً . مع الاستثناء من نوابع الكلم الهدافية إلى مرشد حر المنطق ، الدالة على ضالة المنطقي المفلق .

ورتب الألفاظ في معجمه هذا على طريقة الأبجدية العادية : حسب الحرف

البعث الاسدري
الأول ، مراعياً الحرف الثاني والابتداء به من أول الحروف المجازية : (الألف ، و الياء ، و التاء ، و الثاء ،) لـ الخ .

و جرد الكلمة من الزوائد ، و أرجع الكلمة إلى أصلها .

و ذكر المعانى الحقيقية للاداة أولا ، ثم ذكر المعانى المجازية للاداة ثانياً .

و بفصله المعانى الحقيقية عن المجازية امتاز معجمه على المعاجم السابقة عليه حقه المدف من تأليفه .

وأقى بشهاده من أساليب القرآن الكريم والسنّة النبوية، وروائع الشعر
وفنون الأدب، وتأثير الحكمة والمثل.

وأخذ العلماء على الأساس : الاختصار الذي أدى إلى ترك بعض الموارد ، وأخذ العلماء على الأساس : الاختصار الذي أدى إلى ترك بعض الموارد أحياناً ، وكذاك إطلاقه لفظ المجاز بعامة على كل الاستعارات المجازية دون تفصيل ، ولم يتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها شرعاً أو ثراؤ إلا ما ندر .

وَتَبَعَ الزَّمْخَشْرِيُّ فِي تَرْتِيبِهِ لِقَامِوسِهِ بَعْدَ ذَلِكَ قَوَامِيسُ أُخْرَىٰ ، سَهْلُ الْأَمْرِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْبَاحثِينَ وَالْعُلَمَاءِ ، مِثْلٍ .

المصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومي (٥٧٧هـ) ، و محيط المحيط للبستانى
· (١٨١٩ - ١٨٢٣م) .

وأقرب الموارد في فصيح الـريـة و الشوارـد ، للشيخ سعيد توفيق الشرنوـبـي (١٨٢٩ - ١٩١٣ م) .

و المجد ، للاب لويس معمولف اليسوعي (١٨٦٧ - ١٩٤٦م) ، و مخت
الصالح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى ، و إعادة ترتيب الصالح
للشيخ محمود خاطر ، وكذا المعجم الكبير ، و المعجم الوسيط ، الذى صدر
أخيراً عن المجمع اللغوى بالقاهرة .

(8)

فهو رائد المدرسة الأبجدية في دنيا القواميس، و أول من فرق في الأساس بين الحقيقة والمجاز .

الحافظ ابن حجر و مخطوطاته :

هو الحافظ شماب الدين أبو الفضل : أحمد بن علي بن محمد بن حجر ، الكنائى الشافعى العسقلانى ، المعروف بابن حجر العسقلانى .

ولد بمصر سنة ١٧٧٣هـ ، و نشأ بها و حفظ القرآن الكريم ، و طلب العلوم
الدينية و العربية ، حتى نبغ فيها .

اشتغل بعلوم الحديث في الديار الحجازية، والشامية، والمصرية، وأخذ الحديث عن جلة العلماء، ولا سيما الحافظ العراقي، وتفقه على البقني، وابن الملقن، وغيرهما رحمهم الله، ودرس الأصولين على العز بن جماعة، وقرأ القراءات السبع عن التوخي، وأخذ اللغة عن محمد الدين الفيروز آبادى، ولغة العربية عن العمارى، والأدب وعروض عن البدر الشكى.

وأذن له أستاذته بالتدريس والافتاء ، وتصدى بعده بعنابة للحديث الشريف :
مطالعة ، وقراءة ، واقراء ، وتصنيفاً ، ودرس التفسير ، والفقه ، وباشر
الوعظ والخطابة ، في الجامع الأزهر ، وجامع عمرو بن العاص وغيرهما .
و باشر القضاء في مصر إحدى وعشرين سنة ، و لقب بقاضى القضاة ،
وأوحد الحفاظ .

و وفد إلـيـه الفضلاـء ، و رؤـس العـلـمـاء ليـزوـروا من أـدـبـه و فـضـلـه و عـلـمـه .
و بلـغـت تـأـلـيفـه مـاـة و خـمـسـين مـصـنـفـاً ، مـعـظـمـها فـي عـلـومـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ ، مـنـهـا :
الـاصـابـةـ فـي أـسـمـاءـ الصـحـابـةـ ، و تـهـذـيبـ التـهـذـيبـ ، و التـقـرـيبـ ، و تعـجـيلـ المـنـفـعـةـ ،
و مشـتـبـهـ النـسـبةـ ، و الدـرـرـ الـكـامـنـةـ فـي أـعـيـانـ الـمـائـةـ الثـامـنـةـ ، و تـلـخـصـ الـخـيـرـ فـي

أخطاء المستشرقين حول أبي العلاء المعري

بِقَلْمِ : أَدِيبِ الْعَرْبِيَّةِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمِيمُونِ

كنت قد قرأت بيتاً من شعر المنبي خلال دراستي لتاريخ الأندلس ، مدح
فيه أحد علمائها ، و ذاك كا يأني !

كترت حول بيونهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق
و الحقيقة أن الشاعر لم يبالغ فيها رأه من أن أهل الأندلس يستحقون
كل فضل و ثناء ، وقد مضت مآت من السنين ولكن لم يظهر أى شعب على
مسرح العالم يعيش العلم كما كان يعيش أهل الأندلس ، ولا يرجى أن يظهر مثل
هذا الشعب في المستقبل .

و لذاك فليس عجياً أن تطلع شمس العلم من بلاد الغربة ، ولكن ما يبعث على الأسف أن هذا الوضع لم يدم ، ولم يستمر طويلاً ، فظللت هذه الشمس تطلع من جهة الشرق ، ثم تغير بجرى الأحداث ، وامتلك الغرب زمام العلوم و الفنون منذ مائة سنة تقريباً ، و استغلال تلك الثروة العلمية التي خلفها سلفنا ، و لم نقدر قدرها ، و تخلفنا نحن المسلمين في كل المجالين ، في مجال السياسة و الحكم ، و في مجال العلوم و الفنون ، و كان العدو شيئاً ، فكرس جهوده على إحراز الفضل و التقدم في مجال العلم و الفن ، حتى حقق إنجازات عليه كبيرة تبعث على الاعجاب ، ولكنها لم تستطع أن تنهي من الغفلة والسبات التي تعودناها منذ أمد بعيد .

نَخْرِجُ أَحَادِيثَ الرَّافِعِيِّ الْكَبِيرِ ، وَنَخْرِجُ الْمَصَايِحَ ، وَنَخْرِجُ الْكَشَافَ ، وَابْنَ
الْحَاجِبَ ، وَإِتْحَافَ الْمَهْرَةَ ، وَالْمُقْدَمَةَ ، وَبَلْوَغَ الْمَرَامَ ، وَنَجْبَةَ الْفَكْرِ وَشَرْحَاهَا،
الْمَسْنُدُ الْأَمَامِ أَحْمَدَ . . لِلْخَ .

و من أجل كتبه : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، رضى الله عنه ،
الذى دل على المعيبة و جلالة قدره ، كتب مقدمة ١٨١٣ ، و بدأ تأليفه ١٨١٧ ،
انت منه في غرة رجب ١٨٤٢ .

وله أيضاً ديوان شعر، وديوان الخطبة، وـ الغراس، الذي نحن بصدده تحقيقه.
وأمثل من حفظه الشيئ الكثير، وانتشرت كتبه في حياته، وتهاداها
الملوك والأمراء.

وعاش حياته متواضعاً، حليماً، صابراً، كريماً، صواماً، متهجداً، ورعاً،
يجل المقدمين، ويحترم المتأخرین، دهناً في أخلاقه مع كل من يخالطه أو يجالسه،
كرم النفس والخلق والمال.

كما كان ظريفاً فكها، مهضوم النفس، يميل إلى النكات اللطيفة، والنواادر الظرفية.
واستأثرت به رحمة الله تعالى، في ليلة الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٤٥٣هـ
أجزل الله ثوابه، وأمطر عليه شأبيب رحمته ورضوانه، ونفع بعلمه، وجزاء
عنا وعن الإسلام وال المسلمين خير الجزاء.

٦٢



من الكتب التي ألقت باللغة الفرنسية والألمانية مباشرة، ولكن اطاعت على ترجمتها وعرفت ما فيها من أخطاء وتناقضات.

وأتناول أولاً الأخطاء التي صدرت من قلم مرجليوت ونكلسن، وقد تعرضت لهما أوربا كلها.

لقد كتب مرجليوت مقدمة مسببة تحتوى على مواد علمية قيمة على رسائل المعرى التي طبعت في أوكسفورد سنة ١٨٩٨م، وتميز هذه المقدمة بالموضوعية والأسلوب العلمى الرزين، واتبع هذه الطريقة نكلسن في مقاله « تاريخ الأدب العربي الذى تتضمنه الموسوعة الإسلامية»، وفى « دراسات حول الشعر الإسلامي»، وقد وضعت للإشارة إلى الكتب الأربعية التى تناولتها بالدراسة والتقد أربع علامات، وهى : م ، وآداب ، ودائرة ، وأفكار .

تحتوى مقدمة مرجليوت على ٢٣ صفحة ، ولا يتجاوز ما كتبه نكلسن حول حياة أبي العلاء ست صفحات، وربما تبعث هذه الأخطاء القراء على الدهشة والاستغراب، على أنى صرف النظر عن كثير منها ، وقد تعمد مرجليوت المزيد من الأخطاء فى ترجمة رسائل المعرى ، وتصحيح ترجمة المعرى اعتماداً على معجم الأدباء ، هذه الأخطاء ستأخذ الكثير من القراء و لذاك لا أتعرض لها الآن .
وكان أن نكلسن ارتكب أخطاء كثيرة يصعب عدها فى التعبير عن أفكار المعرى ، و ترجمة رسالة الغفران ، كذلك نجد باحثاً آخر قد ألف كتاباً مستقلاً باللغة الإنجليزية حول حياة المعرى ، وهو مليئ بالأخطاء ، و الجدير بالذكر أن هذا الكاتب لا يعرف اللغة العربية ، و لذاك فإن دراسته لا تحمل أهمية علمية كبيرة .

وإن أوربا لم تقم بخدمة علومها فحسب ، بل استولت على تلك العلوم والفنون التي تعد من ثروتنا العلمية الخاصة ، وجعلتها مجالاً للبحث والدراسة ، واستعرضت آلافاً من مكتبات الشرق والغرب ، و استخرجت منها كثيراً من الكتب النادرة التي لم تكن في متناول اليد ، وبذلت جهوداً مضنية في ضبطها وتحقيقها وإخراجها ، و أضافت إليها حواشى و تعليقات قيمة ، و قامت بنقلها إلى اللغات الأوربية .
ولكن أوربا - بالرغم من أنها قامت بخدمات جليلة للغات و العلوم الشرقية - لم تستطع أن تتجنب السليفات التي تطرقت إلى أعمالها ، ولذلك فكانت الحاجة ماسة إلى كشف ما فيها من اعوجاج و انحراف ، و عرض ما قام به علماؤنا من خدمات علمية واسعة .

وتحقيقاً لهذا المهد السامي بدأت كتابة مقالات حول «أبي العلاء المعري»، ونشر أول مقال لي في مجلة « معارف » الأردية بعنوان « المعرى و معارضه القرآن الكريم »، وقد ألف - أخيراً - كاتب هذه السطور كتاباً حول أبي العلاء ، باسم « أبو العلاء و ما إليه » ، ورأيت أن الأوربيين قد أحبوا بأفكار أبي العلاء الحرة إلى درجة أنهم ألفوا العديد من الكتب باللغات المختلفة من الإنجليزية والألمانية والفرنسية وما إلى ذلك ، و هي تشتمل على الغث والسمين من المعلومات عن هذا الشاعر ، فكان من الواجب أن أتناول هذا الموضوع الذي طرقوه مراراً ، ولكنهم وقعوا في أخطاء شنيعة ، وأرجو من القراء أن يراجعوا كتابي « أبو العلاء و ما إليه » للدراسة المفصلة ، و قد نشر منذ مدة .

ولا يهمنى في هذه العجلة إلا تلك الأخطاء البشعة والتناقضات التي تعرض لها المستشرقون خلال دراسة حياة أبي العلاء، يؤسفنى أنى لم أتمكن من الاستفادة

البعث الاسلامي

العدد ٥ - المجلد ٣١ ★ محرم الحرام ١٤٠٧

الاهمية بمكان فقد جميع الكتب اهميتها وقيمتها ، وإن ما ذهب إليه مرجليلوت لا يتفق و مغزى الرواية ، لأن الراوى لم يقصد بقوله : ولا أعلم ما يعوزه ذلك ، ما فهمه مرجليلوت ، وإن كلة ، الاعواز ، لا تعنى التعطيل ، كما ظن صاحبنا .

٢ - و ابن فورجة (١) أصبح عنده في الانجليزية (Ibn Faurajah) والصواب أن يكتب (Ibn Furajjah) كا ضبطه صاحب «فوات الوفيات»، وتوجد نسخة (٢) خطية في مكتبة بيليوثك نيشيونال باريis ، وردت فيها هذه الكلمة مشكلة هكذا ، و سند ذكر بعض الأمثلة من هذا القبيل فيها بعد .

تصحیفات فاحشة :

قد يغير بعض الكلمات ويزيد فيها أو ينقص منها شيئاً، نتيجة لعدم الروية و التفكير ، و فيما يلي بعض الأمثلة للتصحيف :

و التفكير ، و فيما يلى بعض الأمثله للتصحيف :

١ - سويقة غالب الذى سياقى ذكره (٣) أصبح عنده سويقة بن غالب، و هو خطأ ، راجعوا معجم البلدان و ابن خلkan .

٢ - و أبو اليسر شاكر الذي ورد ذكره في خربدة القصر و نكبة الهميان و غير ذلك من الكتب مراراً ، و الذي هو حفيد أبي المجد محمد أخى أبي العلاء يكتبه مرجليوت أبو النصر (٤) .

٣ - ينقل عن الأغاني (٥) أن أهل مصر رتبوا لأبي العلاء راتياً قدره ألف درهم سنوياً، و ذلك بتوصية أبي تمام له بذلك ، والصواب أنه كان أربعة آلاف درهم ، كما ذكره صاحب (٦) الأغاني و وفيات الأعيان (٧) .

٤ - و يقول في موضع : إن القاضي عبد الوهاب المالكي لما سافر من بنداد

(١) م ٢٦ . (٢) اطلعت على صورة منها في لاهور .

• ۱۳ م (۵) • ۲۸ م (۴) • ۲۲ م (۳)

(٦) الطبعة الثانية ١٧٩ / ١٨ (٧) . ١٧٥ / ٢ .

أخطاء مرجليلوت :
تعددت أنواع الأخطاء التي وقع فيها مرجليلوت ، فينبغي أن نذكرها تحت عناوين مختلفة .

- قصور العلم -

١ - صور اسم أخطأ مرجبوت في فهم عبارة رسائل المعرى ، و هي : « و انصرفت
و ماء وجهى في سقاء غير سرب ، ما أرقت منه قطرة في طلب أدب ولا مال ،
و منذ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتناده علم من عراقى ولا
شامى ، (١) . يقول في ترجمتها : إن المعرى يوجه رسالة إلى شخص يقول فيها:
إن لم أحتاج إلى أخذ مال أو علم من عراقى أو شامى منذ العشرين من عمرى (٢) .
و واضح أن هذه الترجمة الخاطئة نتيجة لخلط الجملتين من العبارة المذكورة
أعلاه ، و الواقع أن المعرى لم يطلب المال من أحد قط ، لا قبل العشرين ،
ولا بعدها ، و «منذ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتناده علم من
Iraqi ولا Shami » جملة مستقلة ، و معناها أنه لم يطلب العلم من عراقى ولا
شامى منذ فارق العشرين .

٢ - ذكر الذهبي و ابن خلkan رواية عن كتاب «الأيك و الغصون» الذي يعتبر أعظم كتاب لابي العلاء المعري ، و هي : « و قد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلد الأول منه بعد المائة ، قال : ولا أعلم ما يعوزه بعد ذلك» و يستفاد من هذه الرواية أن الرأوى اطلع على ١٠١ جزء من الكتاب ، ولم يطلع على ما يتلوه من مجلدات ولكن مر جليوت (٣) أخطأ في ترجمة كلية « يعوز » فقال : إنه كان يقع في ١٠١ مجلد ، وكان من

(١) م . ص ٢٢ . (٢) م . ص ١٥ . (٣) م . ص ٣٩ .

(०५)

٢ - يقول في موضع (١) : إن أبي العلاء بعد ما أصبح مكفوف البصر كان يتمتع بشئ من البصرة عدة سنوات ، و يدل على ذلك وصفه للأزمار و الحروف و ما إلى ذلك .

و إن هذه الدعوى لا تستند إلى دليل ، و يكذبها أبو العلاء نفسه ، فقد روى عنه المؤرخون أنه أصيب بالجدرى في الرابعة من عمره ، وقد لبس ثوباً أحمر ، و فقد بصره في تلك الحالة ، و لذلك فلم يكن يعرف من الألوان سوى الأحمر ، فلو كان متعمقاً بشئ من البصرة بعد إصابته بالجدرى لكان يعرف الكثير من الألوان غير الأحمر أيضاً ، و نجد في ديوانه « سقط الزند » قصيدة نونية في وصف النجوم ، أظن أن مرجليلوت لم يطلع عليها ، إن هذه القصيدة تشمل على أبيات منقطعة النظير ، تبعث على الحيرة والاستعجب ، و لم يقل مثلها أحد من العميان (٢) و إن الجاحظ قد أبدى إعجابه بيستين من شعر الأعشى و بشار ، و ليس فيما أدى طرافة و إبداع ، فقال الصفوى : إن الجاحظ لو سمع قصيدة نونية لأبي العلاء لقضى منها العجب .

و الحقيقة أن المعري كان قوى التصور صریف الحس ، لأن ضعيف البصر لا يستطيع أن يصف النجوم قبل هذا الوصف البارع الذي يبعث على العجب ، و أما تشيهي الملال بالنون فلا يستلزم أن يكون الشاعر بصيراً ، لأن هذا التشيه كان معروفاً لدى الشعراء قبل أبي العلاء ، و لا غرابة فيما إذا كان الأعمى يعرف أن النون تكون مستديرة .

٣ - و يزعم (٣) أن أبي العلاء لما وصل إلى بغداد خاطب الإمام أبي حامد الإسفلائي بيعاز من القاضى أبي الطيب الطبرى ، لاتفاقه باخرته .

(١) راجع التورى ٩٢/١ و نكمة الهميان ٨٤ .

(٢) م ٢٤ . (٣) م ٢٢ .

إلى مصر ... الخ ، وجاء في موضع آخر « من مصر إلى بغداد ... ، على حين أن الذى قام بهذا السفر شخص واحد ، والسفر أيضاً واحد ، والمصدر الذى اعتمد « هو وفيات الأعيان لابن (٤) خلakan ، في كلا الموضعين ، وهذا التناقض نتيجة للكتابة غير الواعية .

دعاو فارغة :
إن علام الغرب وتلاميذه معجبون - بوجه عام - بالداعوى الفارغة ، و هم يقطعون بأمر يقصه الحجة و البرهان ، و لكنهم يقدمونه كحقيقة علمية ثابتة لا تقبل الجدل والنقاش ، وربما يعجب من يطلع على كتاباتهم بسعة اطلاعهم و دراستهم الواسعة .

و يمتاز مرجليلوت من بين سائر المستشرقين بسعة الاطلاع والجدية ، ولكنه لم يستطع أن يتجنب من تأثير البيئة التي نشأ فيها ، ولذلك نجده مولعاً بالأدعىاء ،

و إليكم بعض الأمثلة من هذا القبيل :
١ - إنه يزعم أن أسماء شعراء مجرة التي وردت في كتب التاريخ قليلة جداً ، نظراً إلى أهميتها السياسية ، وذكر في الحاشية أسماء خمسة من الشعراء (٢) . و إن هذا الزعم نتيجة لقلة المعرفة و عدم العناية بالبحث و الاستقصاء ، لأن عدد شعراء مجرة أكثر بالنسبة لأهميتها السياسية ، و قد ذكرت ٧٥ شاعراً في كتابي « أبو العلاء و ما إليه » ، و من أراد التفصيل فليراجع هذا الكتاب ، و هؤلاء الشعراء من بنى سليمان ، و بنى الوديدة ، و بنى أبي الحسين ، و بنى الممتاز و غيرهم من القبائل .

(٤) ابن خلakan ٨٣/١ - و في طبعة مصر سنة ١٤٣٠ هـ ٣٠٤/١ .

(٢) م ١٣ .

و الأعشى و امرئ القيس الذين نجد أسماءهم في معجم البلدان ، هل كان هؤلاء مشهورين في الجغرافية ؟ و الحقيقة أن معجم البلدان كتاب التاريخ والأدب و الأنساب أولاً ، ثم هو كتاب الجغرافية .

٦ - يقول (١) : إن أبي العلاء ركب السفينة إلى الموصل وهو عائد من بغداد ، ثم ركب الابل .

و لا تعتمد هذه الدعوى على دليل ، ويكتذبها - أيضاً - ما قاله أبو العلاء و هو يودع أهل بغداد :

إذا أط نسع قلت الدوم كاري
أجدكم لم تفهموا طرب النسخ
و أتى لنا من ماء دجلة نسبة
على الخمس من بعد المفاوز والربيع
و أغلبظن أن أبي العلاء لم يجد سفينته حتى الآن ، فكيف ركبها ؟ ولو
افتضنا أنه اتخذ السفينة مركباً له فain تركها في الموصل ، و من احتفظ بها ؟
و رسائل المعرى - أيضاً - لاترشدنا إلى نتيجة حتمية بهذا الصدد ، فقد جاء فيها
عن سفره هذا ! و سرت عن بغداد ... سيراً تحظى إبله وتتطلب نسوعه ،
و توقع الغرق سفنه (٢) ... الخ .

٧ - و يدعى (٣) أن المحققين القدامى لم يستطيعوا البحث عن قبر المعرى ، على أن وجود قبره في معمرة أمر لا يشك فيه ، يقول سائح قام بزيارة معمرة في عام ١٩٠٥م إن قبره يقع في ركن من أركان البلد ينظر إليه الناس بنظرة الاجلال والتكرم ، و وضعت عليه لوحة مكتوبة بالخط الكوفي ، وبجواره قبر أحد تلاميذه ، ويقع أمامهما ضريح الشیخ محمد الغباري داخل قبة ، وأرسل إلى أحد أصدقائه رسالة يقول فيها ! إنه قد نشرت جريدة العمران المصرية أن أمير معمرة نورس باشا قام باصلاح قبر المعرى ، وأنشأ هناك كتاباً للأطفال .

٨ - يتبع *

(١) م : ٤٢ . (٢) ص ٣٢ . (٣) م : ٤٢ .

ولا يصدق الواقع هذه الدعوى ، لأن منزلة القاضي أبي الطيب وأبي حامد كانت سواء عند أبي العلاء لقيهما في بغداد ، و كان كل واحد منها فقيها ليس غير ، ولو كان أحدهما أديباً لكان ذلك سبباً لفضيله على الآخر ، و ما الذي جعل القاضي أبي الطيب بحث أبي العلاء على مخاطبة الإمام أبي حامد بقصيدته التونية ؟

٤ - ويقول : إن المجلس العلمي (١) للشريف الرضي كان قد أقيم على طراز

مجلس شابور ، و ذكره أبو العلاء في شعره و ثراه . . . الخ .

و الحقيقة أن أبي العلاء لم يذكر إلا دار العلم التي أنشأها شابور ، ولم يكن للشريف الرضي أي مجلس على ، و لم تحدثه نفسه أن يقيم مجلساً علياً ، و هو شاب يافع ، وقد شهد دار العلم لشابور ، و المجلس العلمي لأخيه الشريف المرتضى ، فلم يشعر بحاجة إلى إنشاء مجلس جديد .

ولا يغيب عن البال أن الرضي كان زوج بنت شابور ، وكان مجلس الشريف المرضي غالباً بالعلماء والفضلاء ، وقد ذكرت في كتابي بعض طرائف مجلسه . وقد ثبت بالمصادر المؤتقة بها أن أبي العلاء كان يتردد إلى مجلس المرضي ، و لا نجد ذكر مجلس الرضي في الكتب التي بين أيدينا ، و أظن أنه التبس عليه

مجلس المرضي ، فكتب الرضي بدل المرضي ، كما جعله ابن تعزى البردي .

٥ - ينعم (٤) أن أبي أحمد عبد السلام البغدادي صديق أبي العلاء كان إماماً في

النحو والجغرافية ، وأشار في الهاامش إلى فهرس معجم البلدان الذي عتمده .

لقد عنيت بجمع أخبار عبد السلام أكثر من أي علم من علماء السير

و التراث ، ولكنني ما عرفت أنه اكتسب شهرة في الجغرافية ، ولعل مرجليلوت

توهم ذلك ، لمجرد أنه وجد ذكر عبد السلام في فهرس معجم البلدان ، و لكن ماذا يقول عن النبي - مصطفى - و عن سيدنا عيسى و موسى - عليهما السلام -

(١) م : ٢٤ ، و وقع نكلسن في نفس الخطأ ، راجع كتابه تاريخ آداب اللغة

العربية ص ٣١٤ . (٢) م . ٢٤ .

(٥٨)

أنت النبي و من يحرم شفاعته يوم الحساب لقد أزري به القدر
 فثبت الله ما آتاك من حسن ثبّت موسى ، ونصرًا كالذى نصروا
 فقال رسول الله ﷺ : و أنت فتبّثك الله يا ابن رواحة .
 قال هشام بن عروة : فثبته الله عزوجل أحسن الثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت
 له الجنة فدخلها ، و في رواية ابن هشام :

إني تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذى نظروا
 أنت النبي و من يحرم نوافله والوجه منه فقد أزري به القدر (١)
 أما ما رواه ابن سعد في الطبقات فهو طريق آخر ، يقول ابن حجر العسقلاني
 في كتابه (الاصابة في تمييز الصحابة) رواية عن ابن سعد :
 حدثنا عبد الله بن موسى ، حدثنا عمر بن أبي زائدة عن مدرك بن عمارة ،
 قال : قال عبد الله بن رواحة : مررت في مسجد الرسول ﷺ ، و رسول الله
 ﷺ جالس ، وعنه أناس من الصحابة في ناحية منه فلما رأوني قالوا : يا عبد الله
 ابن رواحة بقى ، فقال : إجلس هاهنا بخلست بين يديه ، فقال كيف تقول
 الشعر ؟ (٢) قلت أنظر في ذلك ثم أقول ، قال فعليك بالمرتكين ، ولم أكن
 هيأت شيئاً فنظرت ، ثم أنشدته ، فذكر الآيات ، فيها .

فثبت الله ما آتاك من حسن ثبّت موسى ، ونصرًا كالذى نصروا
 قال : فأقبل بوجهه مبتسمًا ، و قال : و إليك فتبّثك الله (٣) .
 قال هشام بن عروة : فثبته الله عزوجل أحسن الثبات ، فقتل شهيداً ،
 وفتحت له الجنة فدخلها (٤) .

(١) نفس المصدر ص / ٩٠٠ .

(٢) وفي الطبقات : كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول .

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة ، القسم الرابع ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب القسم الثالث ص / ٩٠٠ .

دراسة خاصة بالأدب المخضرم :

عبد الله بن رواحة الانصاري

سعید الأعظمی

يسعدنى أن أبدأ الحديث بعد حسان بن ثابت عن صنوه في الشعر والدفاع
 و المجد ، عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء
 القيس الراکب الراکب بن ثعلبة بن كعب بن الحارث بن الحزرج
 الاصنارى الحزرجي ، يكنى ، أبا محمد ، وقيل : أبا رواحة ، وقيل : أبا عمرو ،
 وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطناب ، خزرجية كذلك ، أحد الشعراء
 والحسينين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ ، (١) ويفدونه بمهمتهم
 وأرواحهم و يدافعون عن حوزة الاسلام و يطربون على المشركين و اهل المجاهد
 و التغيير ، وخاصة على شعرائهم الكبار الذين كانوا يناضلون المسلمين و يطاردونهم
 بأسمه طريق و أبغض أسلوب من الكلام .

شاعر كبير متجمل :

كان حاضر البديهة سريع القول للشعر ، يقول هشام بن عروة عن أبيه عروة
 قال سمعت أبي يقول : ما سمعت أحداً أجرأ ولا أسرع شعراً من عبد الله بن
 رواحة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له يوماً : قل شعراً تقتضيه الساعة ، و أنا
 أنظر إليك فانبئ مكانه يقول :

إني تفرست فيك الخير أعرفه و الله يعلم أن ما خانى البصر

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج ٣ / ص ٨٩٨ .

مدحه لرسول الله ﷺ : روى ابن حجر العسقلاني في الاصابة فقال : ومن

احسن ما مدح به (عبد الله بن رواحة) النبي ﷺ قوله :

لولم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تدليك بالخبر (١) .

وأخرج أبو يعلى بسند حسن عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس ، قال دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاة وابن رواحة بين يديه وهو يقول .

خلوا بنى الكفار عن سبile اليوم نضركم على تأويله ضربا يزيل الهم عن مقيمه ويدهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر ، فقال : (رسول الله ﷺ) خل عنه يا عمر ، فو الذي نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ، (٢) .

وروى ذلك ابن سلام الجرجي في طبقات خول الشعراه بطريق آخر فقال . و قال عبد الله بن رواحة ، وقد أخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ في عمرة القضاة يقودها وقد اجتمع أهل مكة و غلمانهم ينظرون إليه وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبile خلوا ، فكل الخير مع رسوله نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله (٣) ضربا يزيل الهم عن مقيمه ويدهل الخليل عن خليله (٤)

(١) وفي رواية : تأويلك بالخبر .

(٢) الاصابة في تميز الصحابة ، القسم الرابع ، ص / ٨٦ .

(٣) قال ابن هشام هذا اليت لعمار بن ياسر في هذا اليوم ، والمراد بالتأويل تأويل الرؤيا الذي أشار اليه القرآن الكريم في قوله (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله أمين . . .) .

(٤) طبقات خول الشعراه ، لابن الجرجي ص / ١٨٦ .

منزلته في الجاهلية : كان شاعراً مغلقاً ذا منزلة عالية وسيداً كبيراً في قومه نبي الحارث بن الخزرج ، له من الشعر الجاهلي ما يعتبر ذات قيمة شعرية كبيرة ، يفتخر فيه بقومه ، ويعلى مكانتهم ، وله مناقضة شعرة مع قيس بن الخطيم ، وخاصة في الحروب الجاهلية التي عاشها الخزرج ضد الأوس إلى مدة طويلة ومارسوها بقوة وصمود ، وكان من أيام حروبهم يوم الفضاء ، يوم التقوا بالقضاء ، فاقتلوه قتلاً شديداً حتى حجز بينهم الليل ، فأفضلت الأوس يومئذ على الخزرج ، فقال قيس ابن الخطيم قصيدة التي جاء فيها :

فأبقيت سيف الأوس منكم وحد ظباتها إلا شريداً
فأجابه عبد الله بن رواحة بقصيدة دالية تمايل قصيدة الخطيم في الردف
و القافية ، بدأها بقوله :

تذكر بعدما شطت نحوها وكانت تيمت قلبي ولديا
احتوت القصيدة كلها على معانٍ الفخر والقوة والفتوة (١) .
يقول ابن سلام الجرجي في طبقات خول الشعراه :

و عبد الله بن رواحة عظيم القدر في قومه ، سيد في الجاهلية ، ليس له في طبقته التي ذكرنا أسود (٢) منه ، شهد بدرأ ، وكان في حروبهم الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم ، (٣) .

مكانته في الاسلام : أسلم قبل بيعة العقبة ومع رجال من بنى قومه ، وهو

من شهد بيعة العقبة ، وكان نقيب بنى الحارث بن الخزرج ليلة العقبة ، وقد جاء

(١) ستحدث عنها ونذكر القصيدة بكاملها في الموضع المناسب لهذا البحث ، إن شاء الله تعالى .

(٢) يعني أقعد منه في السؤدد والشرف .

(٣) طبقات خول الشعراه ، ص / ١٨٦ .

فكان هجوم ثلاثة من الأنصار ، حسان بن ثابت ، و Kubab bin Maalik ، و عبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضنهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والماضي ، و يعيرانهم بالمتالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، وكان في ذلك الزمان أشد القول على الكفار قول حسان بن ثابت ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وتفقروا في الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ، (١)

مجالس الإيمان : جاء في كتاب الرهد من طريق زياد التميمي عن أنس : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال تؤمن بربنا ساعة (٢) . كان أبو الدرداء من يحبه ويثنى عليه ، فكان يذكره دائماً ، ويستبشر به خيراً ، وكلما كانا يلتقيان يعقدان مجلساً للذكر وتجدد الإيمان وتنقية القلوب ، يقول أبو الدرداء : « أعود بالله أن يأتني على يوم لا أذكر فيه عبد الله رواحة ، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثدي ، وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفين ، ثم يقول : يا عويمراً اجلس فلنؤمن ساعة فجلس فذكر الله ما شاء ، ثم يقول : يا عويمراً هذه مجالس الإيمان ، (٣) .

وقد عرف رسول الله ﷺ حرصه على الذكر وتجدد الصلة بالله والذكرة اليمانية فقد كان يعيش على حب الله ورسوله ، ويطلع إلى رحمة الله ورضاه ، ولم يكن له هم إلا الحديث عن الإيمان واليقين والآخرة والجنة والنعيم ، فكانت مجالسه وأحاديثه تدور حول هذا الموضوع المنفرد ، حتى إن النبي ﷺ قد شهد

(١) روایات الأغانی ، ج ٤ / ص ٥.

(٢) الاصابة ، ق ٤ / ص ٨٣ .

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ج ٢ - ص ١٥٧ .

فيما قاله كعب بن مالك من شعر في حصر النباء وكانوا اثنتي عشر نقباً ، اشارة إلى ابن رواحة حينما يقول :

و أيضاً فلا يعطيك ابن رواحة و إخفاره من دونه السم نافع
وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل في قباء في بني عمرو بن عوف
وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله تعالى من بين أظهرهم يوم الجمعة ، فأدركته في
بني سالم بن عوف فصلاماً في المسجد الذي في بطن الوادي ، فكانت أول الجمعة
صلاماً في المدينة ، وهناك أتاه الناس وطلبو منه الإقامة ، ولكن رسول الله ﷺ
يقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، لافتة ، حتى إذا مرت بدار بني الحارث
ابن الحزرج ، وهم قوم عبد الله بن رواحة اعترض لرسول الله ﷺ من بين من
اعتتصوه عبد الله بن رواحة ، وقال له : هل إلينا يا رسول الله إلى العدد والعدة
والمتعة ، فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

كان في مكة نفر من شعراً المشركيين يتصدرون هجوم رسول الله ﷺ ،
وتهديد المسلمين بالقمة والعقاب ، وهم في أغلب الأحوال ثلاثة ، عبد الله بن
الزبير وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص ، فكان الوضع
يتطلب الرد عليهم بشعر أقوى من شعرهم و الدفاع عن رسول الله ﷺ وعن
المسلمين بكلام بلغ التأثير والقوة يتغلب على كلامهم ، ويسد عليهم الطريق للهجوم
والإيذاء والاستهزاء والاستخفاف بشأن الإسلام والمسلمين ، هناك أراد
رسول الله ﷺ أن ينهض جماعة من شعراً المدينة للرد و الدفاع ، والذافحة
و المناقضة ، فإذا بحسان بن ثابت وكعب بن مالك ، و عبد الله بن رواحة يعرضون
أنفسهم للقيام بهذه المهمة ، ويسمح لهم رسول الإسلام ﷺ بذلك ويدعو لهم بالتوفيق .
يقول أبو الفرج الأصفهاني في روایات الأغانی وهو يشير إلى هذا الواقع :

من زوجته ، و لو لا شدة نورعه و صلاحه لما وجدت امرأة الرجل تشهد لزوجها بالصلاح و الورع بعد ما كان قد طلقها .

وفي فوائد أبي طاهر الذهبي ، من طريق ابن أبي ذئب عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : نعم الرجل عبد الله بن رواحة . . . في حديث طويل ، (١) .

مرض عبد الله بن رواحة ذات مرة و اشتد عليه المرض . فذهب إليه النبي ﷺ عائداً له و دعا له بالتيسير فيما إذا كان أجله قد حضر ، أو بالشفاء إذا لم يكن كذلك ، فاستجاب الله دعاه بالشفاء ، بقول ابن سعد في العطبات :

، حدثنا عفان ، حدثنا حماد عن أبي عمران الجوني قال : مرض عبد الله ابن رواحة فأغمى عليه فعاده النبي ﷺ فقال : اللهم إن كان أجله قد حضر فيسره عليه ، و إن لم يكن حضر أجله فاشفعه ، فوجد خفة . فقال يا رسول الله ، أهي تتقول واجلاته ، واظهراه ، و ماك قد رفع مرزبة من حديد ، يقول : أنت كذا هو ؟ ولو قلت نعم لقمعني بها ، (٢) .

وكيف كان يموت عبد الله بن رواحة على فراش بيته وكانت الله تعالى قد استجاب دعاه وكتب له الشهادة ثم الجنة التي يدخلها ، وتحققت أمنيته في وقعة موته ، ومات أميراً شهيداً فرضي الله عنه وأرضاه في الجنة .

في ميدان الجهاد و القتال : إذا كان حسان بن ثابت يكتفى بوضع مواهبـ الكلامية و طاقاته الشعرية في مجال الدفاع عن الإسلام و الرد على المشركين و هجائهم ، و تقوية مواقف الرسول ﷺ ، دون أن يسمم بقواء المادية في jihadـ (١) أيضاً .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ / ص ٨٢ .

(٦٦)

شدة ورعيه و طاعته لله و الرسول ﷺ : بلغ من شدة حبه لله و الرسول و حرصه على الطاعة لها إلى أن لم تفتة فرصة فيها مجال لطاعة الله و الرسول إلا وقد انتهزها و استفاد منها ، فقد قتل عملاً معنى الطاعة في الآيات التي تنص على الطاعة لله و للرسول ، و امتزج ذلك بلحمه و دمه ، و كان يرى في ذلك سعادة ونجاحاً له في الدنيا و في الآخرة ، فقيها رواه البهق بسند صحيح عن قصة طواعيته لله و لرسوله أدل دليلاً على ذلك ، يقول :

، عن أبي ليلى (٢) كان النبي ﷺ يخطب ، فدخل عبد الله بن رواحة فسمعه يقول : أجلسوه ، بجلس مكانه خارجاً من المسجد ، فلما فرغ قال له : زادك الله حرصاً على طواعية الله و طواعية رسوله ، (٢) .

و جاء في كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك بسند صحيح عن عبد الرحمن

ابن أبي ليلى قال :

، تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة ، فسألها عن صنيعه ، فقالت : كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، و إذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك ، (٤) .

هذه شهادة للرجل من امرأته التي طلقها ، و من يكون أعلم بسر الرجل

(١) الاصابة في تمييز الصحابة ق ٤ ص ٨٤ .

(٢) وفي رواية عن ابن أبي ليلى .

(٣) الاصابة ، ق ٤ ص ٨٤ .

(٤) نفس المصدر .

الشيخ ثناء الله الأمر تسرى ، نبذة عن حياته و خدماته

- ٢ -

الأخ عبد المدين عبد الحق الندوى
معجم دار المصنفين أعظم كرامة (الهند)

مميزات مؤلفاته :

ألف الشيخ الأمر تسرى الكتب التي ذكرنا بعضها ، ليست كلها على سبيل المثال
بإيجاز شديد ، في الدفاع عن الإسلام و دحض الأفكار الباطلة للقاديانيين
و المبتدعين و النصارى و المبشرين ، و للاستفادة العامة المسلمين ، كما هو
ركز جهوده في الجوانب الآتية :

الف : إصلاح عقائد المترافقين الجامدين . بأسلوب موجز مقنع .
ب : ولا يستعمل في مؤلفاته الألفاظ الركيكة ، و العبارات المبهمة .
ج : يستعمل نصوص القرآن والسنة وأقوال الأئمة من السلف الصالح في الرد على
مهاجمي الإسلام ، و يستخدم الأدلة القوية ، و البراهين الساطعة ، التي
تسكت الخصم .

د : كان يعبر عن هدفه بأسلوب سهل ميسر مفهوم ، غير معقد و مهم يستعين
بالاستعارة و الطرائف الأدبية حسب الظروف و المناسبة .
تأسيس جمعية أهل الحديث وجمعية العلماء ، عدا هذه الخدمات
العلمية ومساهمته في بعض الجمعيات والنوادي الأخرى الجليلة :

فقد أسس الشيخ الأمر تسرى جمعية أهل الحديث الهندية ، بتعاون من
زملائه ، و رأسها طول حياته بالإضافة إلى جمعيات أخرى ، مثل حركة ندوة العلماء

(٦٩)

و الحضور بنفسه في ميدان القتال ، فأن عبد الله بن رواحة كان من أشد الناس
حرضاً على المشاركة في الجهاد بنفسه ، والسير في ركاب النبي ﷺ نحو قتال أعداء
الإسلام ، وكان يتعين أن يرزقه الله الشهادة في سيله ، لذلك فانه ركز عناته
كلها في المجاد ضد أعداء الإسلام ، و اعتبره أعظم القربات في ذلك الوقت ،
و أكبر عبادة ترضي الله ورسوله ، وهي عبادة لا تساويها أعمال تطوعية أخرى ،
لا يعاد لها القريض وقول الشعر ، ولو كانت له الأهمية المعلومة في تلك الظروف
القاسية التي كانت ترشق فيها نبال المشركين المسمومة أعراض المسلمين ، و تستهدف
سهامهم الكلامية الحارقة شخصية رسول الله ﷺ بألوان من المهاجنة و الممتازة
و التهديد و التحدي ، فقد كفى مؤنة ذلك غيره من شعراء الإسلام و المسلمين ،
ولكنه أراد أن يفرغ نفسه للجهاد و القتال ، و يرغب عن سلاح الشعر إلى
سلاح القوة و الحديد ، ويسير مع النبي ﷺ حيثما سار نحو الغزاة و قتال أعداء
الله ، فكان أول خارج إلى الغزو ، و آخر قافل منه ، (١) و شهد بدرأ و أحداً
و الخندق ، والحدبية وخير ، و عمرة القضاء ، و المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ،
و كان أميراً في غزوة مؤنة التي أكرمه الله فيها بالشهادة .

كان عبد الله بن رواحة شاعراً في الجاهلية والإسلام ، وفارساً كبيراً من فرسان
المسلمين يحضر الوغى لقتال المشركين و يشهد الغزوات و يتظاهر فيها بشجاعته
و براعته في استعمال السلاح و مواجهة الأعداء ، وقد أبل في الحروب الإسلامية
التي شاركها بلاً حسناً .

« يتبع »

(١) الاصابة في تميز الصحابة ، ق ٤ / ص ٨٤ .

(٦٨)

فهذا دليل واضح على وجود أهل الحديث في الهند في القرن الرابع ، و ليست هذه الجماعة تولدت ب محمود الشیخ محمد بن عبد الوهاب النجاشی كما يظن بعض الناس ، ولا لأجل الامام ولی الله المحدث الدھلوی ، ولا لأجل الشیخ محمد إسماعیل الشید الدھلوی رحمة الله ، ولكنهم كانوا من قائدی ومؤیدی هذه الجماعة في وقتهم ، كذلك الشیخ ثان الله أيضًا كان أحد زعماء وقادة هذه الجماعة في زمانه : عاملًا بالحديث ونابذًا للتقليد ، بعيدًا عن التأویل في الأسماء والصفات .

الجامعة السلفية :

قامت الجامعة السلفية (١) بارس الهند في نوفمبر سنة ١٩٦٣م ، فكانت هذه الجماعة من أحلام الشیخ الامر تسری ، فإنه كم كان يتمنى في حياته أن توجد مثل هذه الجامعة لهذه الجماعة في الهند ، ولكن كل أمر مرهون بأوقاته ، فا تحققت هذه الأمانة في حياته ، إلا بعد وفاته ، فقد ذاع صيتها في أقل مدة ، والآن تلعب هذه الدار دوراً مهماً في صياغة الجيل الجديد على نهج السلف ، فالله يصونها من كل آفة .

مناظراته مع الفرق الباطلة :

لا يتم هذا البحث إذا لم تذكر مناظرة الشیخ الامر تسری مع أعداء الإسلام من كل طبقة ، فإن شخصيته كانت متعددة الجهة والصفات ، فإنه ناظر كل الطوائف الكافرة من القاديانية والمسيحية والأرية ، ورد على البدع والخرافات وقام بمحاربة العقائد الباطلة ، والأفكار الضالة ، وبذل سعيه في نشر السنة الحمدية ، وألف

(١) أسست الجامعة السلفية بيد سعادة فضیلۃ الشیخ الفوزان سفير المملكة العربية السعودية خلدتها الله سنة ١٩٦٣م ، والآن حلت مكانة مرموقة بين الجامعات الإسلامية الكبرى في الهند .

كما تقدم ذكرها ، فقد كان هن أنصارها وله مساهمة كبيرة فيها ، كذلك جمعية علماء الهند كان من مؤسسيها بل داعيها الأول في تعبير أصح (١) حينما تقبلت السياسة ، وحدثت اضطرابات متعددة في طول الهند ، نتيجة للحرب العالمية سنة ١٩١٤م فأحس الشیخ حاجة ماسة لقيادة إسلامية قوية ، ولهذا الغرض تألفت هذه الجمعية في دلمى سنة ١٩١٩م وكانت تحت قيادته ، و الجمعية الإسلامية و جمعية إشاعة الإسلام في بنجاب ، وندوة الصادقين سنة ١٩١٠م وقد حللت هذه الجمعيات مكانة مرموقة في مجال العلم والدين في الأوساط الدينية ، ولا تزال تستمر في دعوتها في البلاد (٢) .

إن جماعة أهل الحديث تاریخها قديم جداً ، و أول من لقب بهذا الاسم هم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعین ، لأن وجود هذه الطائفة واضحه منذ يوم النبوة قبل حدوث سائر الفرق الإسلامية ، لأن الرسول ﷺ شهد لهم بما ظهر على أيديهم من الحق بصحبة ما أتوا به عنه ﷺ ، فلما است هذه الطائفة بمجددة كما يظن بعض الناس ، بل لا تزال من يومئے ، خلفاً بعد خلف غير منقطع إلى يومنا هذا (٣) .

أما في الهند فهذه الجماعة توجد منذ القرن الرابع كذكر المقدسى المعروف بالشارى في رحلته إلى الهند في سنة ٥٣٧هـ ضمن اقليم السند ، خاصة في بلدة منصورة فهو يقول : ليس للذکر به صيت ، ولا لهم رسوم تذكر ، مذالمهم أصحاب حديث (٤) .

(١) سیرة ثانی ص ٢٩٣ . (٢) فتنہ قادریانیت ص ٥٤ .

(٣) تاریخ أهل الحديث ص ٦ للشیخ أحمد الدھلوی خادم السنة ، طبع في لاهور ببنجاب ١٩٣٣م ، ١٣٥٢هـ .

(٤) أحسن التقاسیم ص ٤٨١ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٠٦م لندن .

مباهلته مع المرزا غلام أحمد القادياني :

وقد تباهل مع القادياني غلام أحمد نفسه على أن الكذاب منها في دعوته يموت قبل الآخر ، فات القادياني في الكثيف شرميـة ، ولا زال ثاء الله حـيـاـ قـائـماـ عـلـىـ الـمـبـطـلـيـنـ (ـ نـحـوـ أـرـبعـينـ سـنـةـ)ـ يـاظـرـهـ وـيـكـسـرـ شـوكـتـهـ (ـ ١ـ)ـ .ـ وـيـحـكـيـ قـصـةـ لـحـضـورـهـ فـيـ الـمـنـاظـرـةـ فـيـ قولـ العـلـامـ رـشـيدـ رـضاـ الـمـصـرـىـ الـمـرـحـومـ .ـ

ـ دـعـىـ مـرـعـةـ لـمـنـاظـرـةـ مـعـ الـهـنـدـوـكـ وـرـكـ القـطـارـ وـرـكـ مـعـ شـابـ هـنـدـكـ ،ـ فـعـارـفـ الـمـاسـافـرـيـنـ فـقـطـ ،ـ وـكـانـ الشـيـخـ ثـاءـ اللهـ يـلمـجـ لـسانـهـ بـذـكـرـ اللهـ عـنـ كـلـ مـنـاسـبـةـ ،ـ فـاـذـاـ شـرـبـ بـدـأـ بـاسـمـ اللهـ ،ـ وـإـذـاـ اـنـهـىـ مـنـ شـرابـهـ حـمـدـ اللهـ وـإـذـاـ عـطـشـ حـمـدـ اللهـ ،ـ وـإـذـاـ شـمـتـهـ الـمـسـمـتـ أـجـابـهـ يـهـدـيـكـ وـيـصـلـحـ بـالـكـ ،ـ وـإـذـاـ سـلـمـ عـلـيـهـ مـلـمـ أـجـابـهـ وـعـلـيـكـ السـلـامـ وـرـحـمـةـ اللهـ وـبـرـكـاتـهـ ،ـ وـكـانـ الشـابـ هـنـدـكـ يـصـفـيـ إـلـيـهـ وـيـسـأـلـهـ عـنـ تـرـجـعـةـ كـلـ مـاـسـعـهـ مـنـهـ فـيـ تـرـجـمـهـ لـهـ إـلـىـ أـنـ نـزـلـاـ فـيـ الـمـحـطةـ ،ـ فـكـانـ سـيـارـةـ تـنـظـرـ الشـيـخـ ثـاءـ اللهـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـ اـنـتـظـارـ هـنـدـكـ أـحـدـ ،ـ فـدـعـاءـ الشـيـخـ وـأـرـكـهـ سـيـارـةـ مـعـهـ وـلـمـ اـسـتـقـلـهـ قـالـ :ـ سـبـحـانـ الـذـيـ سـبـحـنـاـ هـذـاـ وـمـاـ كـنـاـهـ مـقـرـنـيـنـ وـإـنـاـ إـلـىـ رـبـنـاـ لـمـ قـلـبـونـ ،ـ فـسـأـلـهـ الشـابـ عـنـهـ فـتـرـجـمـهـ لـهـ فـتـأـثـرـ بـهـ حـتـىـ تـغـلـفـ فـيـ سـوـدـاءـ نـفـسـهـ .ـ

ـ انـعـدـ بـمـجـلسـ الـمـنـاظـرـ ،ـ وـ بـمـجـالـسـ الـمـنـاظـرـ فـيـ الـهـنـدـ شـأنـ يـعـرـفـهـ مـنـ حـضـرـهـ وـلـمـ انـعـدـ بـمـجـلسـ الـمـنـاظـرـ تـقـدـمـ الشـيـخـ ثـاءـ اللهـ إـلـىـ مـنـصـةـ الـخطـابـةـ وـ ظـهـرـ إـلـىـ مـقـابـلـتـهـ لـمـنـاظـرـهـ الشـابـ هـنـدـيـ الذـيـ رـافـقـهـ بـالـأـمـسـ ،ـ وـ سـمعـ مـنـ ذـكـرـهـ اللهـ مـاـ أـدـهـشـهـ ،ـ أـقـبـلـ الشـابـ هـنـدـكـ إـلـىـ الشـيـخـ مـسـلـمـ مـصـافـخـاـ ،ـ وـ أـعـلـنـ عـلـىـ رـؤـوسـ الـأـشـهـادـ مـنـ مـسـلـيـنـ وـ هـنـدـكـيـنـ .ـ وـ مـسـيـحـيـنـ وـ نـاظـمـيـنـ وـ رـجـالـ الـادـارـةـ وـ حـفـظـ الـنـظـامـ ،ـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ الـتـيـ عـرـفـهـاـ بـنـفـسـهـ بـقـوـلـهـ :ـ هـذـاـ رـجـلـ إـلـهـيـ يـذـكـرـ اللهـ كـثـيرـاـ وـ مـنـاظـرـهـ جـرـمـ فـيـ اـعـقـادـيـ ،ـ وـ إـنـمـاـ يـنـاظـرـهـ رـجـلـ مـثـلـهـ ،ـ وـ أـنـاـ أـنـاظـرـ رـجـلـ مـنـ طـبـقـيـ ،ـ إـنـفـ أـذـكـرـ اللهـ وـلـكـنـ لـاـ أـلـحـقـ شـأـوـ هـذـاـ الرـجـلـ ،ـ فـارـفـضـتـ الـجـلـسـةـ وـالـنـاسـ

(١) مجلة المنار ، المجلد الثالث و الثلاثون لسنة ١٣٥١ ص ٦٣٩ .

ـ كـثـيرـاـ حـولـ المرـزاـ غـلامـ أـحـدـ القـادـيـاـنـ ،ـ وـ غـيرـهـ مـنـ الـمـرـكـاتـ الـمـهـادـيـةـ لـلـاسـلـامـ فـقـدـ كـثـرـتـ الـمـنـاظـرـاتـ وـ الـتـكـهـنـاتـ فـيـ زـمـانـهـ ،ـ فـرـدـ عـلـىـ كـلـ ذـلـكـ ،ـ كـانـتـ الـحـاجـةـ مـاـسـةـ إـلـىـ عـالـمـ كـبـيرـ وـ باـحـثـ كـبـيرـ وـ نـاظـرـ شـهـيرـ ،ـ لـهـ درـاسـةـ عـمـيقـةـ فـيـ الـمـذاـهـبـ وـ الـدـيـانـاتـ الـأـخـرـىـ ،ـ فـبـرـزـتـ شـخـصـيـةـ الشـيـخـ ثـاءـ اللهـ وـ كـانـ يـسـطـعـ أـنـ يـحـسـنـ الـمـقارـنـةـ بـيـنـ الـدـيـانـاتـ ،ـ فـكـاـ ردـ عـلـىـ غـلامـ أـحـدـ القـادـيـاـنـ رـدـاـ عـنـيفـاـ رـدـ كـذـالـكـ عـلـىـ الـفـرـقـ الـهـنـدـوـكـيـةـ وـ آرـيـةـ سـمـاجـ وـ مـسـيـحـيـةـ ،ـ وـ عـلـىـ مـنـكـرـيـ السـنـةـ .ـ

ـ وـ لـلـرـدـ عـلـىـ هـذـهـ الـفـرـقـ الـمـنـحرـةـ أـصـدـرـ الشـيـخـ ثـلـاثـ جـرـائدـ هـيـ :ـ

- ـ ١ـ جـرـيدةـ أـهـلـ الـحـدـيـثـ الـأـسـبـوعـيـةـ فـيـ نـوـفـيـرـ ١٥٣٠ـ مـ ،ـ كـاـ تـقـدـمـ ذـكـرـهـ .ـ
- ـ ٢ـ مـرـقـعـ قـادـيـاـنـ ،ـ لـلـرـدـ عـلـىـ الـقـادـيـاـنـ خـاصـةـ فـيـ يـوـنـيـوـ سـنـةـ ١٩٠٦ـ مـ .ـ

ـ ٣ـ جـرـيدةـ مـسـلـيـانـ الـشـهـرـيـةـ أـوـلـاـ ،ـ وـ الـأـسـبـوعـيـةـ آخـرـاـ ،ـ لـلـرـدـ عـلـىـ الـمـسـيـحـيـةـ وـ آرـيـةـ سـمـاجـ خـاصـةـ فـيـ مـاـيـوـ ١٩٠٨ـ مـ .ـ

ـ وـ فـيـ هـذـهـ الـمـاـسـبـةـ أـرـيدـ أـنـ أـنـقـلـ مـاـ قـالـ الـكـاتـبـ الشـمـيـرـ الـلـيـلـامـ رـشـيدـ رـضاـ الـمـصـرـىـ مـنـشـيـ مجلـةـ الـمـنـارـ عـنـ هـذـهـ الـشـخـصـيـةـ الـفـذـةـ :ـ

ـ صـدـيقـنـاـ الـعـلـامـ ثـاءـ اللهـ صـاحـبـ الـمـصـنـفـاتـ وـ الـمـنـاظـرـ لـلـوـذـينـ وـ الـنـصـارـىـ وـ الـمـبـدـعـينـ ،ـ وـ أـشـهـرـهـ مـنـاظـرـهـ لـغـلامـ أـحـدـ القـادـيـاـنـ وـ مـبـاهـلـتـهـاـ الـتـيـ تـبـيـنـ بـهـ أـنـ القـادـيـاـنـ دـجـالـ كـذـابـ ،ـ وـ قـدـ نـشـرـتـ إـحـدـىـ الـجـرـائـدـ الـهـنـدـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـهاـ الـحـكاـيـةـ التـالـيـةـ :ـ هـذـهـ تـرـجـمـهـاـ .ـ

ـ مـولـاناـ الشـيـخـ ثـاءـ اللهـ مـنـ عـلـمـاءـ أـهـلـ الـحـدـيـثـ وـ الـكـلـامـ وـ الـفـقـهـ فـيـ أـمـرـ تـسـرىـ بالـهـنـدـ ،ـ لـهـ مـجـلـةـ وـمـؤـلـفـاتـ فـيـ الدـفـاعـ فـيـ الـاسـلـامـ ،ـ وـ هـوـ مـوـعـدـ هـذـاـ مـنـاظـرـ كـبـيرـ وـ فـصـيـحـ الـلـاسـانـ قـوـيـ الـحـجـةـ بـلـيـغـ الـعـبـارـةـ ،ـ اـدـعـيـ بـلـمـنـاظـرـ الـطـاعـنـينـ عـلـىـ الـاسـلـامـ مـنـ الـهـنـدـ وـ خـصـوصـاـ جـمـاعـةـ آرـيـاـ سـمـاجـ ،ـ وـ كـذـالـكـ لـهـ مـوـاقـفـ مـحـمـودـةـ مـعـ مـضـلـلـ الـنـصـارـىـ وـ كـذـاـ الـأـحـمـدـيـةـ الـقـادـيـاـنـيـةـ ،ـ .ـ

يلهجون بفضل الله على الشيخ وإنصاف ذاك الشاب (١) .
وكم مرة حصل الشيخ على الجوائز في المناظرة ، التي انعقدت في بلدة
لدهيانه في بنجاب مع جماعة القاديانية ، وكان فيها الحكم الشيخ الحامى الرسمى
سردار كوريجن سنك ، الذى استمع للحاديَّات و الإجابة من الجمئين فكانت هذه
الحفلة كسابقة لكسب الجوائز للفائزين ، وبعد الردود والإجابات التى أصدرها الحكم
في حق الشيخ ثاء الله نال فيها ثلات مائة روبيه كجائزة ، وكانت يقوم
بحولات كثيرة في طول الهند لغرض المساهمة في المناظرة ، حتى في مناظرة الشيعة
و القاديانية والآرية ، وقد أحرز قصب السبق و النجاح في جميع رحلاته التى
لا تعد ولا تُحصى .

ذكر العادات والخصائص :

و الآن نعود إلى ذكر عاداته و شمائله بعد ما فرغنا من ذكر علاقته مع
الحركات والجمعيات ، و المناذرات بياجاز ، لأن هذا البحث لا يتم إلا بذكرها ،
فأولاً نقدم مقتبساً مما وصفه السيد العلامة عبد الحى الحسنى وصفاً جيلاً بأسلوبه
القوى : يقول :

« كان جيلاً وسيماً أياض اللون ، معتيناً بصحته و ملمسه ، محافظاً على
الأوقات ، مجتهداً دؤوباً في العمل ، عنده دماثة خلق و مرورة في الأخلاق
و سعة في المعلومات و حسن المعاشرة » (٢) .

و قد ذكر الشيخ عبد المجيد الشودري في كتابه الأردى عن خصائصه
و عاداته فيقول :

(١) مجلة المدار ، المجلد الثالث و الثلاثون لسنة ١٢٥١ هـ ص ٦٣٩ .

(٢) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٩٦ .

• كان الشيخ الامر تسرى مقتصداً في شؤون كلها مقتدياً لسنة النبي ﷺ
وما كان مبتداً حتى يظن فيه أحد الفقر والمسكنة ، وما كان متربعاً ولا متتكلاً ،
حتى يقال متكبر بل كان مختلفاً بأخلاق الدين و متواضعاً (١) .

ضيافته :

و كان مضيافاً ومحباً إلى الجميع ربما يحضر عنده عشرات من الضيوف فكان
يرحب بهم ويراعى مراتبهم ، ويخدمهم بالجذب و الانبساط ، ويفرح بتقديم
القرى للضيوف ، ويشترك معهم في المأكل ، وله في هذا الفن قصة رائعة تدل
على ضيافته .

حكى الشيخ خير الدين الحنفى مهاجر غزى ، وكان قد توطن في بلدة « غاء »
GAYA ، في ولاية بيهار ، كان زميل الشيخ في حلقة الشيخ مولانا محمود الحسن
في ديواند ، قال : ذهبت إلى وطني المأثور للزيارة ، و عند الرجوع أحبيت أن
اللقاء الشيخ ثاء الله ولكن خطر بالي بأن الشيخ رجل كبير ، قد ذاع صيته في كل
مكان ، و هو صاحب منزلة عالية ، لا أرى هل هو يذكرني أم لا ؟ ولكن
غلبت الرغفة والمحبة فنزلت في أمر تسرى وتوجهت إلى منزل الشيخ ، صادقي واحد
عند الباب وأرسلت الخبر إليه بواسطته بأن خير الدين قد حضر يابكم ويستاذن
للقائم ، فلم ألبث لحظات ، حتى رأيت الشيخ خرج مبستماً فسلم على وصافى وعائقى
و رحب بي ترحيباً حاراً ، و أكرمنى وذهب بي إلى غرفته و فرح غاية الفرح ،
وحاول أن أمهث عنده زمناً ولكن الظروف لم تسع لي فاعتذر إليه ورجعت
من عنده في أقرب وقت للقطار و كنت أنتظر وقت القطار وجلست في
قاعة الانتظار ، و فجأة رأيت الشيخ يحضر و يحمل معه الزاد فأصر على الأكل ،

(١) سيرت ثائى (بالأردية) ص ١١٧ .

البلاد العربية ، و داع صيته بذلك في مصر و العراق و سوريا ، و تلقاء الناس يـد القبول و الاعجاب و كان بين أسرته و بين الأسرة الغـزـنـوـيـة تعـاـنـ و تـبـاعـ و اشتعل نـيـرـانـ الـحـرـبـ خـاصـةـ بـيـنـ عـلـمـاءـ الـأـسـرـةـ الـغـزـنـوـيـةـ الـتـىـ تـعـلـقـ بـلـدـةـ أـمـرـ تـرىـ وـ هـىـ أـسـرـةـ عـلـمـيـةـ مـعـرـوـفـةـ بـأـهـلـ الـحـدـيـثـ ،ـ فـهـذـهـ الـأـسـرـةـ الـغـزـنـوـيـةـ أـصـدـرـتـ الـفـتـوـىـ بـكـفـرـ الشـيـخـ ثـانـ اللهـ عـلـىـ بـعـضـ أـخـطـائـهـ فـيـ تـفـسـيرـهـ الـمـذـكـورـ وـ رـمـمـهـ بـالـاحـادـ وـ الـزـنـدـقـةـ وـ أـخـرـجـتـهـ مـنـ جـمـاعـةـ عـلـمـاءـ أـهـلـ الـحـدـيـثـ ،ـ وـ كـانـ مـقـدـمـاـ فـيـ هـذـاـ التـزـاعـ الشـيـخـ عـبـدـ الـجـبـارـ الـغـزـنـوـيـ خـلـفـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ الـغـزـنـوـيـ وـ كـتـبـ رـسـالـةـ بـاسـمـ الـأـرـبـعـينـ فـيـ أـنـ ثـانـ اللهـ لـيـسـ فـيـ مـذـهـبـ الـمـدـهـنـ (١)ـ تـعـقـبـ فـيـهـ عـلـىـ أـرـبـعـينـ مـوـضـعـاـ ،ـ وـ قـالـ :ـ إـنـهـ مـعـتـزـلـ بـعـقـيـدـتـهـ وـ حـصـلـ تـوـقـعـ عـلـيـهـ مـنـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ الـمـعـتـازـينـ مـنـ الـهـنـدـ ،ـ وـ كـتـبـ الشـيـخـ «ـ الـكـلـامـ الـمـبـيـنـ فـيـ جـوـابـ الـأـرـبـعـينـ »ـ وـ أـوـضـعـ فـيـ بـالـدـلـائـلـ أـنـ هـذـهـ الـأـخـطـائـ لـيـسـ مـاـ يـقـنـىـ عـلـيـهـ بـالـكـفـرـ ،ـ وـ أـنـ هـذـهـ تـفـسـيرـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ بـالـقـرـآنـ ،ـ لـيـسـ تـفـسـيرـاـ بـالـرأـيـ بلـ السـلـفـ الصـالـحـ كـتـبـ مـثـلـ هـذـاـ ،ـ حـتـىـ وـصـلـتـ الـقـضـيـةـ إـلـىـ لـجـةـ الـعـلـمـاءـ الـتـىـ شـكـلـتـ لـحلـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ ،ـ وـ كـانـ فـيـهـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ الـغـازـيـفـورـيـ وـ الشـيـخـ الـمـحـدـثـ شـمـسـ الـحـقـ الـدـيـانـوـيـ وـ الشـيـخـ عـيـنـ الـحـقـ الـفـلـوـارـوـيـ ،ـ هـؤـلـاءـ الـأـعـضـاءـ الـثـلـاثـةـ بـذـلـواـ جـهـودـاـ مـخـلـصـةـ لـتـوـفـيقـ بـيـنـ الشـيـخـ الـأـمـرـ تـرىـ وـ مـعـارـضـيـهـ (٢)ـ .ـ

وـ لـكـنـ حـيـنـاـ تـخـرـجـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ الـرـوـپـرـىـ ،ـ فـأـثـارـ هـذـهـ الـفـتـةـ الـمـيـةـ مـرـةـ أـخـرـىـ وـ نـقـلـ الـأـرـبـعـينـ إـلـىـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ وـ لـمـ اـسـافـرـ الشـيـخـ الـأـمـرـ تـرىـ إـلـىـ

(١) راجـعـ لـتـفـصـيلـ الـأـرـبـعـينـ فـيـ أـنـ ثـانـ اللهـ لـيـسـ فـيـ مـذـهـبـ الـمـدـهـنـ ،ـ طـبعـ بـأـمـرـ تـرىـ بـالـأـرـدـيـةـ صـ ٢٩ـ وـ نـقـلـهـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ الـحـافـظـ عـبـدـ اللهـ الـرـوـپـرـىـ .ـ

(٢) راجـعـ لـتـفـصـيلـ الـكـلـامـ الـمـبـيـنـ فـيـ جـوـابـ الـأـرـبـعـينـ طـ ١٢٢٢ـ بـأـمـرـ تـرىـ .ـ

(٧)

ئـمـ وـدـعـيـ فـأـبـعـجـتـ بـأـخـلاـصـهـ وـ مـوـدـهـ ،ـ وـ حـسـنـ زـيـهـ وـ ضـيـاقـهـ عـلـىـ رـغـمـ شـهـرـهـ وـكـثـرـةـ اـشـغـالـهـ ،ـ وـ هـذـاـ تـوـاضـعـ يـدـلـ عـلـوـ شـائـةـ وـ رـفـعـةـ مـكـانـهـ (١)ـ .ـ

خطـبـتـهـ :

أـمـاـ خـطـبـتـهـ فـكـانـ يـزـيـمـاـ بـآـيـاتـ مـنـ الـكـتـابـ وـ نـصـوصـ السـنـةـ النـبـوـيـةـ وـ الـأـشـعـارـ الـمـشـهـورـةـ فـيـ الـلـغـاتـ الـمـخـلـفـةـ مـنـ الـعـرـبـيـةـ وـ الـأـرـدـيـةـ وـ الـفـارـسـيـةـ ،ـ وـ كـانـ خـطـابـهـ ذـاـ تـأـثـيرـ عـجـيبـ عـلـىـ قـلـوبـ النـاسـ لـأـنـهـ كـانـ خـطـيـباـ مـصـقـعاـ ،ـ وـ حـيـنـاـ يـقـومـ لـلـخـطـبـةـ أـصـفـيـ إـلـىـ النـاسـ «ـ كـانـ عـلـىـ رـؤـوسـمـ الطـيرـ »ـ وـ كـانـ يـعـتمـدـ فـيـ اـسـتـدـلـالـاتـهـ عـلـىـ أـسـلـوبـ عـلـىـ رـزـينـ مـخـتـرـزاـ عـنـ التـكـلـفـ وـ الـطـعـنـ وـ الـرـكـاـكـ ،ـ يـقـولـ الـدـكـتـورـ عـبـدـ الـخـفـيـظـ السـلـقـيـ أـحـدـ رـجـالـ أـهـلـ الـحـدـيـثـ فـيـ مـذـاـكـرـةـ عـلـيـةـ عـقـدـتـ فـيـ بـلـدـةـ آـرـاـ ،ـ رـأـيـتـ رـجـلـ شـابـاـ جـيـلاـ مـلـيـحاـ وـ جـيـهاـ عـالـمـاـ كـبـيـراـ ،ـ قـدـ وـقـفـ عـلـىـ مـنـصـةـ الـخـطـبـةـ ،ـ نـخـطـبـ وـ الـحـاضـرـونـ كـلـمـ تـسـيلـ الدـمـوعـ مـنـ أـعـيـنـهـ عـلـىـ خـدـودـهـ وـ كـانـ هـذـاـ خـطـابـ مـصـدـاقـاـ لـقـولـ الـنـبـيـ ﷺـ :ـ إـنـ فـيـ الـبـيـانـ لـسـجـرـاـ »ـ مـاـ كـانـ أـىـ حـفـلـةـ مـهـمـةـ تـعـقـدـ إـلـاـ وـ كـانـ الشـيـخـ خـطـيـهاـ وـ لـذـلـكـ فـاـنـ خـطـابـهـ الـعـامـ كـانـ أـكـثـرـ مـنـ بـجـالـسـ الـمـانـاظـرـةـ الـتـىـ لـاـ يـأـتـيـ عـلـيـهـ الـحـصـرـ (٢)ـ .ـ

الـطـاعـنـ الـدـاخـلـيـ وـ قـضـيـةـ الشـيـخـ

إـلـىـ الـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ سـعـودـ رـحـمـهـاـ اللـهـ :

هـنـاكـ فـتـةـ دـاخـلـيـةـ وـ قـضـيـةـ غـيرـ مـرـضـيـةـ نـبـتـ وـسـيـقـتـ إـلـىـ الـمـلـكـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ سـعـودـ ،ـ لـابـدـ أـنـ أـعـيـدـهـ لـاـصـحـابـ الـعـلـمـ وـ الـاـنـصـافـ ،ـ حـيـنـاـ أـلـفـ الشـيـخـ «ـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ بـكـلـامـ الرـحـمـنـ »ـ الـذـيـ هـوـ أـوـلـ تـصـنـيفـ عـلـىـ لـهـ ،ـ كـانـ سـبـبـ شـهـرـهـ فـيـ

(١) حـيـاةـ ثـانـيـ صـ ١٢٢ـ بـرـوـاـيـةـ الـعـلـمـةـ شـاـكـرـ جـيـاـوـيـ .ـ

(٢) سـيـرـةـ ثـانـيـ صـ ٣١٠ـ .ـ

الوکیل ، و صلی اللہ علی سعید و آلہ و صحابہ وسلم .

٢٧ / ذي الحجة ١٣٤٤

بعد هذا القرار كان يجب أن تنتهي هذه الخصومة نهائياً إلى الأبد .
ولكن الأسف ما كانت كذلك بل إن طبقة من العلماء الغزنوين رجعوا
عن قرار جلالـة المـالـك (١) .

الشيخ في حياته الأخيرة و هجرته إلى باكستان :

هناك بحث طويل لمؤامرة قتله ، نتركها مخافة الإطالة ، وقد كان ذلك في ٤١ نوفمبر سنة ١٩٣٧ بأمر تسر في حارة كراممان سنكم ، كما هو لقى في أيامه الأخيرة من اضطرابات و تقلبات ، وقد انجل على بها جمود الشيخ الذي كان معبراً عن صبره و فناعته و رضائه بالقضاء و إناته إلى الله و بعد انقسام الهند إلى دولتين عام ١٩٤٧ نشأت موجة كبيرة لهجرة المسلمين إلى باكستان و حدثت مجازر عنيفة و حملات شديدة على المسلمين في بلادهم ، وهكذا أعراض العفيقات و قتل الأطفال الصغار الأبرياء و النساء ، و حرق أموال المسلمين ما لا يحتاج إلى بيان ، و هاجت نار الفتنة في بلد الشيخ فأثر الهجرة إلى باكستان ، و عند الاتصال استشهد نجله الوحيد الشيخ عطاء الله في وقت عصيب على أيدي الإرهابيين ، وقد كان يهوم بحراسة بيته ، وحرقت مكتبه الثانية المليئة بالكتب النادرة ، وكان آثارها على نفسه وماله ، و لقد تحدث العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى عن هذه الواقعـة الحزينة ، يقول : « الحادث الذي وقع في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ على المسلمين في بنجاب لا ينسى على مر الأيام ، كما كانت هذه الرزية شديدة ، أقفرت المدارس و احـت آثارها ، و خزانـ الكتب

الحرمين لاداء مناسك الحج سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م فسافر أيضاً بتلك الرسالة الشيخ عبد الواحد الغزنوى إلى الحجاز في نفس السنة للحج ، وقد وزعت تلك الرسالة بين العرب والحجاج حتى انتشر هذا الخبر ووصل تدريجياً إلى جلالة الملك عبد العزيز بن سعود رحمهما الله فطلب مجلساً للعلماء والخواص فحضر فيه بالأخص الإمام السيد العلامة رشيد رضا المصري صاحب مجلة المنار والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن حسن آل الشيخ ، والعلامة بمحجة البيطار السوري ، والشيخ عبد الله بن بليد قاضي القضاة للحجاج والشيخ عبد الله بن حسن إمام الحرم المكي ، وبعد البحث و النقاش أمر جلالة الملك أن يتخذ المجلس قراراً بشأن هذه القضية ، فكتب فيه هذا القرار التالي الذي نشر عدة مرات في الجرائد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، في المجلس الشرييف المنعقد على يد الإمام عبد العزى
بن السعود قد حضر الشيخ مولوى ثناء الله وحضر معه الشيخ عبد الواحد الغزنوى
فطلب كل منها إلى الإمام أيده الله أن ينظر فيما كان بينهما من النزاع بحضوره
جاءه من العلما و قد حصل الاتفاق بعد النظر : على أن الشيخ ثناء الله
قد رجع عما كتبه في تفسيره من تأويل الاستواء و ما في معنى ذلك من آيات
الصفات الذى تبع فيه المتكلمين و اتبع ما قاله السلف في هذا الباب و أقر بأنه
هو الحق بلا ريب ، و التزم أن يكتب في تفسيره ، و أما الشيخ عبد الواحد
الغزنوى و من معه من كان قد تكلم في حق الشيخ ثناء الله مما يوجب الطعن
عليه فانهم يرجعون عنه وأن يحرقوا الأربعين التي كتبوها في حقه ، و رجع كل
منها على تجديد عقد الأخوة من كل ما ينافي ذلك، حصل القرار على ذلك و تبادلوا
عليه على يد الإمام ، و العلما الموقعين عليه والحمد لله للتوفيق و هو حسنا ونعم

(۱) راجع دکے دل کی داستان، للشیخ الامر تسری.

تهدمت من أمر سر إلى ثغور دهلي ، وفي هذه الحادثة المؤلمة استشهد نجل الشيخ الامر سري عطاء الله وكان في حالة صلاة و ذهب خزينة كتبه ضياعاً ، وقد أنقذ نفسه بألف حيلة و وصل إلى باكستان (١) .

و فاته :

وبعد انتقاله إلى باكستان جاءه مرض الكهولة ، و تعرض الشيخ لصدمات متواتلة خاصة بعد استشهاد نجله الوحيد ، بالإضافة إلى ضياع كتبه النفيسة ، وهذه كلها سببت له الهم والحزن ، ولم يمض على انتقاله إلى باكستان إلا مدة يسيرة إذ أصابه الفالج في ١٢ / فبراير ١٩٤٧هـ ، وكانت الحالة شديدة لم يكتب له منه الشفاء، رغم جميع المحاولات العلاجية التي بذلت، و وفاه الأجل بعد ثلاثة أيام من إصابة الفالج فلحق بالرفيق الأعلى في ٣ / من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦هـ الموافق ١٥ / مارس سنة ١٩٤٨م ، فانا لله وإنا إليه راجعون ،

هذه هي نبذة من حياة الشيخ ثان الله الامر سري ، ولا يسعنا نطاق المقام أن نطول ذكره .

و بعد ثلاثة أشهر من وفاته توفيت زوجته و لحقت بفقيدها .
غفر الله لها وجعل الجنة مثواهما !

سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى

(كلمة ألقاها الأستاذ سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى في زيارته القرية لتركيا ، أمام مجموعة من المنقرين ، الآسازنه والأباء الترك في أمية قد طلبته على هضبة تطل على مدينة استنبول العظيمة على ضفاف باسفور ، وذلك في ١٧ من شوال ١٤٠٦هـ ٢٤ من يونيو ١٩٨٦م) .

و كان قد قضى هذا اليوم في زيارة الآثار الإسلامية والجوامع الكبيرة من بقايا عهد الخلافة العثمانية ، ثم استعرض واقع تركيا الجديد من التغرب والعلمانية ، وما قطعه هذا البلد من مأساة طوبلة في الانقلاب عن الثقافة الإسلامية العربية ، فأثار كل ذلك في قلبه أحزانآ وتأملات . ثم أسعفه القرآن والإيمان ، فكان مصدر هذا الحديث) . ، التحرير ،

أما بعد ! إخواني ! قد حضرتني آية من الآيات القرآنية وأنا في الطريق ،
ولا أعتقد أن هذه الآية إنما حضرتني عفواً من غير توجيه من الله تبارك وتعالى
و من غير تيسير له ، و المخواطر قد تكون ضيف الله ، و يجب أن يحتفي بها ،
لست أدرى كيف خطرت لي هذه الآية وأنا في هذا البلد الإسلامي العظيم الذي
كان في يوم من الأيام قلب العالم الإسلامي الذي ينبع ، أو عقله الذي يدبر ،
و الدم الذي يسري في العروق ، قال الله تعالى :

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عَرُوشَهَا، قَالَ: أَنِي يَحْيِي هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مَائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعْثَهُ، قَالَ كَمْ لَبَثَتْ، قَالَ لَبَثَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

(١) ياد رفكان ص ٤١٧ و معارف الشهرة مايو سنة ١٩٤٨م .

قد قلت لبعض الشباب الاتراك في زيارتي الأولى في سنة ١٩٥٦م ، إن هذه الأمة التي قدر الله أن تبني بناء الكعبة الأخير ، ولا تزال الكعبة المشرفة على هذا البناء الذي بناه السلطان مراد العثماني ، والأمة التي قدر لها أن تحدد بناء المسجد النبوي ويوسعه ، وهذا البناء الذي هو قائم الآن بناه السلطان عبد المجيد الثاني ، ما كان الله ليضيع إيمانها ، وما كان الله ليجرد هذه الأمة عن هذه السعادة وعن القيادة ، فالآية إنما تحيي في نفوسنا الأمل ، وتعيد لنا الثقة ، وتنعش في قلوبنا ماجد و ما برد وما مات من الآمال ، وما أحاط بها من التكهنات و القياسات ، فإذا كان الطعام و الشراب لم يتغير بطول الزمن ، وإذا كانت هذه القصور و الأبنية جديرة بأن تبقى على المدى الطويل ، فلماذا لا تبقى هذه الأمة بالاسلام ؟ إنه أقوى وأعمق جذوراً ، وأنفع للإنسانية ، و الزم للحياة البشرية الصحيحة السليمة ، من هذه البناءات و من هذه القصور ، و من هذه المظاهر المدنية .

لا أراكم في حاجة إلى أن أشرح الآيات في ضوء تجاري المحدودة أو في ضوء جو محدود ، وإنما أشير إلى العالم الإسلامي كله ، فالعالم الإسلامي كانت له أجزاء انفصلت ثم عادت ، وكانت له فترات تاريخية حالكة ، ثم استارت ، إنني لست يائساً حتى من أسبانيا ، وقد بدأنا الحمد لله طلائع انبعاث الشعور في النفوس لفداحة الخسارة حين حرمت هذه البلاد من نعمة الإسلام ، وأنا واثق بأن أسبانيا ستعود إلى الإسلام إن شاء الله ، وستكون هناك اتفاضاً إسلامية ، وقد أصبح الأسبانيون يشعرون بأنهم أصبحوا في هامش الأمم لما انقطعت صلتهم عن الإسلام ، فكان للأندلس الإسلامية مركز قيادة دينية علية ، أدبية ، شعرية ، فلسفية ، روحية ، لا يزال يذكر و يذكر في التاريخ ، ولكن لما انقطعت صلتها

يوم ، قال بل بثت مائة عام فانتظر إلى طعامك وشرابك لم يتسله ، وانتظر إلى حمارك ول يجعلك آيه للناس ، وانتظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحاماً ، فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شيء قادر .
أعتقد في ضوء تأملاتي المتواضعة المحدودة في القرآن ، و أعتقد في ضوء دراساتي القاصرة ، حسب ما يفتح الله به على كل مسلم يتلو القرآن ، أن الآيات القرآنية أعمق معنى ، و أوسع مدى ، و أطول أمداً ، مما فسرها المفسرون في أزمنتهم و عصورهم ، و مما تخيلها العلماء في بيئاتهم و في حدود دراساتهم ، و أنا أعتقد ، و هكذا يدولي ، أن الإشارة ليست هنا إلى عودة الحياة الجسدية ، الحياة المادية الطيبة فحسب ، بل إلى عودة الحياة المعنوية كذلك ، و عودة الدور الذي مثله مجتمع أو أمة ، أو شعب أو بلد ، و عودة الرسالة التي كانت تحملها هذه الأمة ، و عودة العقيدة الجازمة المتغلبة في الأحداث التي كانت تحملها هذه الأمة ثم أصابها الضعف ، و عودة الانتصار الذي حققه هذا الشعب المسلم ، و هذا البلد الإسلامي في الماضي ، فالآية تشمل كل هذا ، فلا نستطيع أن نقول إن هذا البلد قد ختم عليه ختماً ، وقد قدر له أن يعيش حياة غير إسلامية ، وهذا المجتمع قد قضى الله يقاهه يتسبّع و يتربى في الجاهلية بشكل دائم .

نعم إن الله سبحانه و تعالى يشير إشارة خفية « وانتظر إلى طعامك وشرابك لم يتسله ، وإذا كان الطعام و الشراب لم يتسله (١) ، فكيف تتسه و تتغير الرسائل السماوية العلوية التي تقوم بها الحياة الإنسانية ، و التي هي قوام البشرية و قيمة الإنسانية ، فإن الله سبحانه و تعالى يقول : « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم » .

(١) يعني لم تغير بطول الزمن الذي مر عليه .

عن الإسلام ، و أصبحت في قائمة الشعوب الأوربية والأقطار الأوربية الطويلة في الدرجة التاسعة أو العاشرة ، ليست لها شخصية محترمة ، و ليس لها ابتكار ، و ليست لها أصالة ولا رسالة ، و أصبحت بلداً من البلدان الأوروبية الكثيرة التي لا يقصدها السائحون و الزوار إلا لزيارة الآثار العربية التي خلفها العرب أنفسهم ، مثل جامع قرطبة و قصور الحمراء ، إنني أعتقد أن كل قطر من أقطار العالم الإسلامي الذي حيل بينه وبين أن يقود المسلمين ، وبين أن يؤدي رسالته و بين أن يرز خصائصه و ما أكرمه الله به من مواهب و طاقات ، سياق دوره في فترة من الفترات و يوم من الأيام .

إنني أعتقد أن هذه الآية حضرتني لمعان أسمى ، إنها تشير إلى أن هذا الموت و الحياة ، اللذين يتدوالان في الحياة الإنسانية و في تاريخ البشر ، إسا محظيين أبديين على فرد أو على أمة ، إنما هما عارضان عابران ، و إنما هما من مراحل الحياة الكثيرة التي يتتعاقب بعضها بعضاً ، فإذا جاء الساب ، و إذا جاء الموت الموقت ، فستتبعهما الحياة باذن الله .

إنني أعتقد أن الشعوب التي تمر برحلة عصبية إنما تمر برحلة انتقالية ، وإنها تنقل إن شاء الله في يوم قريب إلى الإسلام ، و ما كان عليه هذا الجزء من العالم الإسلامي في فهم للإسلام و تقدير له ، و من احتضان له ، و تفان في سلنه و من قيادة البشرة .

و أكتفي بهذه الكلمة ، و الحمد لله رب العالمين .

أين دعاء الحرية من واقعهم الأسود !

الدكتور عبد العلى عبد الحميد
الدار النسخة بمبنى

لا تزال تتردد في الأوساط المعنية أصداء القرار الذي اتخذته الحكومة الهندية للبقاء على قانون الأحوال الشخصية للMuslimين ، و الذي بها تم القضاء على أخته وأخطر مؤامرة حيث خيوطها للنيل من الشريعة الإسلامية الغراء ، ونحن لا نستغرب رد الفعل الذي ظهر من المتطرفين من الهندوس الذين أثاروا نيران تلك الفتنة ، نتيجة لخيبة أملهم ، إذ يستطيع كل ذي عقل وبصيرة أن يدرك مدى حقدهم الكامن و الشعور بالعداوة و البغض الذي تطوى عليه نفوس هذه الفتنة ، ولكن العجب كل العجب أن يستسلم لهم و يخضع لرادتهم نفر من المسلمين و يقعوا في شراكهم ، و يضموا أصواتهم إلى أصواتهم في المطالبة بما سموه « الحفاظ على حقوق المرأة المسلمة في الهند » ، من دون إدراك للأهداف الحقيقة و المؤامرة الخفية ، ولو أن هؤلاء فكروا في أنفسهم ، و نظروا بالعيون المفتوحة الوعية لأدركوا الخدعة التي سمحوا لأنفسهم بالوقوع فيها ، فإن هناك جوانب كثيرة أكثر بروزاً من قضية نفقة المطلقة تنهك فيها حقوق الإنسان ، و تهدى فيها القيم الإنسانية ، فإذا يقول هؤلاء في عمليات الاغارة و النهب والقتل التي تكرر في بلد أو آخر بصورة منتظمة يروح ضحيتها مئات من المسلمين كل سنة ، يسفك فيها دمائهم ، و تحرق بيوتهم ، و تنهب ممتلكاتهم بغير حق إلا أنهم مسلدون ؟ لماذا لا يقوم دعاء الحرية و زعماء رعاية حقوق الإنسان بتنظيم هيئات أو جبهات تعمل على وقف هذه العمليات الاجرامية التي يرتكبها ناس من أهل دينهم ؟

المند تفرض أن تدفع عائلة البنت إلى زوجها كصدق ألغى رؤية نقداً وحوالي ٥٠ جراماً من حل الذهب ، هذا إذا كان العريس فقيراً لا يملك قطعة من الأرض - مهما كانت صغيرة - فإنه يرى نفسه جديراً بأن يطالب من الشخص الذي يريد زوجاً لبنته أن يدفع له عشرة آلاف روبيه نقداً وحوالي ١٠٠ جرام من الذهب ، وإذا كان رجل يبحث عن شاب مثقف من خريجي الجامعات كزوج لكرمه فعليه أن يوفر مائة ألف روبيه .

هذا ونفقات حفلة الزواج كلها على أسرة العروس فإذا كانت العائلة تريد في إقامة حفلة رائعة - حسب مستوى القرى والأرياف - فعلتها أن تصرف حواليأربعين ألف روبيه .

وإذا عجزت الأسرة عن دفع ما تم الاتفاق عليه ، أو ما هو معهود في المجتمع فتحمل العروس العقوبة ، وأخفماً أن تطرد من البيت .

هنا نسأل دعاء الحرية و زعامة حماية حقوق الإنسان عما إذا كانوا عملوا شيئاً لحماية هذه الزوجات أو أنهم يصررون القذارة في عيون إخوانهم فقط ويدعون المذع في أعينهم .

و هذا الوضع المزرى أدى طائفه « كالار » التي تسكن في منطقة « أسيلام باي » ، إلى التفكير في اتخاذ تدابير لازمة لحماية بناتها من أزواجهن ، ولم تجد سيلان إلى ذلك فقررت التخلص منهن بقتلن في المهد ، و قالت إحدى الأمهات إن هذا أحسن للبنت من أن ترك فريسة للاعمال الوحشية ، و تعيش حياة تعasse و شقاء في عذاب دائم ، و ألم نفسي مستمر بين الضرب واللغمات ، و السب و التعذيب في بيت زوجها ، و ربما تنتهي حياتها بالاتحرار أو بالحرق .

و يسجل التحقيق الصحفى اعتراف أحد سكان هذه المنطقة - التي تكون

لماذا لا نسمع صوت احتجاج ضد المظاهرات التي كثرت في الأيام الأخيرة ، والتي تنظم لاغاظة المسلمين وإثارة عواطفهم الدينية برفع شعارات ضدم ؟ هل الحالات القذرة لتحويل مساجد المسلمين إلى معابد هندوكية ، والمطالبة من المسلمين أن يغادروا الهند ، لأنها دولة الهندوس ، هي مظاهر واقعية لرعاية حقوق الإنسان و الحرية الاجتماعية ؟

نحن نرحب بكل محاولة جادة لاصلاح المجتمع و حماية حقوق الانسان ، ولكن نريد أن يبدأ بالجوانب التي لها خطورة في المجتمع ، والتي يؤدي التقصير فيها تقويض أركانه .

ولاشك أن أكبر مشكلة اجتماعية تواجه المجتمع الهندي الآن هو ما نطالع كل يوم - تقريباً - في الجرائد والصحف من حوادث تحريق الزوجات بأيدي أزواجهن و عائلاتهم ، و هذه المشكلة أدت إلى مشكلة أخرى خطيرة و جديرة بأن نسمى « مأساة انسانية » ، و هي كفيلة بأن تدفع المجتمع الهندي - الذي يحاول رئيس الوزراء التقدم به إلى القرف الحادى والعشرين - إلى عصر التخلف و الجاهلية .

فقد نشرت مجلة « الهند اليوم » INDIA TODAY الانجليزية في عددها الصادر يوم ١٥/٦/١٩٨٦ تحقيقاً صحفيآ يبرز ملامح هذه المأساة وعواملها الاجتماعية ، فالفقرات الباهظة التي يجبر عليها آباء البنات عند زواجهن ، والتي يؤدي العجز عنها إلى قتلهم أو إحراقهم دفعت كثيراً من الأسر في جنوب الهند إلى قتل المولودة في مهدها ، و يتولى هذه الجريمة بشعة الوالدار أنفسهما ، و قد كشفت إحدى الأمهات عن الدوافع وراء هذا العمل الاجرامي ، فالتقاليد في قريتها « أسيلام باي » USAILAM PATTI في محافظة مدوراي Madurai في ولاية تاميل نادو في جنوب

فذهب الآب و جاء بنات سام و خلطاه بابن و وضعاه في قم الطفلة البريئة ، و بعد قليل كانت جثة هامدة .

ولكى تستطع الأم أن تخلص من ولادتها فى أقرب فرصة تتسلل من المستشفى بطفلتها منهكة قرائين المستشفيات ، خسب الاحصائيات المتوفرة في المستشفى الحكومى في المنطقة تم كل عام ولادة ١٢٠٠ طفل ، حوالي النصف منها بنات ، و تختفى منها ٩٥٪ ، وهذا يعني أن حوالي ٦٠٠ بنت تولد في المستشفى الحكومى كل عام تقتل منها ٥٧٠ بنتا ! هذا ما يحدث في المستشفى الحكومى ، أما ما يحدث في المستشفيات الخاصة أو بيوت التوليد ، أو في البيوت الخاصة ، فهو خارج عن ذلك .

و هذا التحقيق الصحفى يتعلق بطالفة معينة و منطقة خاصة ، ولكن من المؤكد أن مثل هذه الحوادث تقع في أماكن أخرى و في مجتمعات أخرى ، و السبب في ذلك هو التقاليد القديمة التي تفرض على عائلة الفتاة دفع مال إلى من يتقدم للزواج بها .

و من الغريب أن يغمض الدعاة و زعماء الاصلاح الاجتماعى عن هذه الأعمال الاجرامية و يثيروا ضجة حول نكبات المرأة المسلمة ، فإذا كان لديهم شعور بالانسانية ، ولم يكن ضميرهم مات نهائياً فعلتهم أن يتحركوا إلى إصلاح هذا الجانب من المجتمع الهندوسي ، و يحرروه من لعنة التقاليد البالية التي تحول عقد الزواج إلى صفتة تجارية تباع فيها الفتاة و يشتري فيها العريس .

من ٣٠٠ قرية يتراوح عدد سكان كل منها ٥٠٠ و ١٥٠٠ نفس - أنه لا توجد عائلة إلا و قد قاتلت بقتل بنت على الأقل في خلال العشر سنوات الماضية ، و في كل قرية قتلت ما بين ٢٠ - ٥٠ بنتا في الخمس سنوات الماضية .

و يقدر التحقيق الصحفى عدد المولودات المقتولات في المهد في خلال عشر سنوات مصنّت بحوالى ستة آلاف بنت ، وهناك عائلات قاتلت أكثر من طفلة ، فقول امرأة : « اضطررت إلى قتل ثلات من بناتي لأننا لم نكن قادرين على كفالتهن ، و البحث عن زوج لكل واحدة منهن كان أمراً عسيراً ، فإن ذلك يتطلب أموالاً طائلة لا نستطيع توفيرها بالإضافة إلى ذلك نحن نؤمن بأن الأم إذا قاتلت بقتل بنت في المهد فالمولود التالي يكون ذكرأ ، و لكنى قتلت ثلات بنات و لم أسعد بذلك ، بل أنجحت أربع بنات أخرى ، و لم أستطع قتلهن ، و بعد ذلك رزقت بمولود ، و بعده بنت أخرى » .

و هذه العملية الاجرامية يشترك فيها الآب والأم معاً ، و أحياناً تضطر الأم أن تقوم بها لوحدها أرضاماً لزوجها ، فقالت إحدى الأمهات - وهي تحاول السيطرة على عواطفها ، وكانت قاتلت بنتاً كانت ثانية مولود لها :

« كيف أستطيع كفالة بنتين هذه الأيام الصعبة نحن فقراء لا نملك وسائل لكفالة بنتا الأولى ، فهي عبء ثقيل علينا . . . لما عرف زوجي أنني ولدت بنتاً أخرى عزف عنى و لم يأت لزيارتى في المستشفى ، كنت أعرف أنه يكرهنى . . . يكرهنى لأننى أنجحت بنتاً ، و لكنى الآن أريد أن أخبره أننى تخلصت منها ، وذكرت سيدة أخرى أنها لما ولدت بنتاً قررت هي مع زوجها التخلص منها فوراً ،

توافق في عقليّة معاوّدة الإسلام و منهاجاً

واضح رشيد الندوى

يوجد توافق عملي ، وتطابق عقل غريب بين الذين يعادون الإسلام ، سواء كانوا في الشرق ، وينبع هذا التوافق و توجيه سائر القوى كانوا في الغرب أم كانوا في الشرق ، ومواجهة خطر واحد ، فاتخذت الاستراتيجية إلى جهة واحدة ، من وحدة الشعور ، ومواجهة خطر واحد ، فاتخذت الاستراتيجية و التفكير ، و العمل في المقاومة ، كاً أحد المنطق و الدليل العقل .

كان من أهم عناصر الاستراتيجية التي اتخذها الغرب ضد الإسلام و المسلمين منذ أن قدرت له السيادة الفكرية و العسكرية ، التلقيق و تزوير التاريخ ، وعرض صورة بشعة لواقع العالم الإسلامي و وصف الإسلام خطراً للحضارة و الإنسانية لبرير تصفية العنصر الإسلامي ، وكانت الخطوة تكون من تمجيد الحضارة الأوروبية والجنس الأوروبي ، و وصف المجتمع الإسلامي ببؤرة الفساد ، ومصدر الإرهاب ، و معاداة العلم و الحضارة ، و الحقوق الإنسانية ، و ساهمت في منع هذه الصورة ألوانها ، الوسائل السياسية و الثقافية .

ولأجل ذلك سلطت الأضواء دائمًا على المجتمع الإسلامي ، و خاصة المجتمع العربي و روقبت حركات كل عربي و مسلم في أوروبا ، و خارجها .

ولو بحثنا ما هو الحافز أو الدافع إلى هذه اليقظة و الاحتراس في هذه المسألة لوجدناه نابعًا من شعور خفي بأن الإسلام دين يهيمن على جميع الأديان و يكتسح جميع المذاهب والتيارات ، إذا لم توضع حواجز قوية في سهل زحفه ، و ذلك لأن الإسلام دين الفطرة ، و دين اليسر و دين الحياة ، و دين الأخلاق و دين الحرية و الانفتاح ، و دين المساواة ، لا يفرق بين أمة و أمة ، و أسود أبيض ، بينما الأديان الأخرى طقوس و عادات ، و هي محصورة في الحياة

التعبدية ، والرهبانية ، منقطعة عن الحياة ، لا رسالة لها ولا دور في بناء الأخلاق الاجتماعية ، و بناء الحياة العملية ، وكلما أتيحت فرصة للدعوة المحرّة و منح الخيار بقبول دين ، ظهر الإسلام و غالب ، عقلياً و طبيعياً ، وقد اكتشفت صلاحية الإسلام للانتشار حرّكات التصدير والتّهديد المدعومة بالوسائل المادية في إفريقيا و آسيا حين علمت أن الطّاقات التي تبذلها هذه الدّعوات تقل جزماً يسيراً من سكان العالم إلى أدیاتهم رغم وسائل الاقناع والاغراء ، والسلطة والاجبار ، أما الاتصال إلى الإسلام طوعاً فيستمر في جميع أجزاء العالم ، حتى البلد الذي يحكمها غير المسلمين ، والتي يواجه المسلمين فيها ضغوطاً شديدة فيؤثر الناس الإسلام و يحملون المكره في سبيله .

و قد اعترف بهذه الصلاحية للإسلام مسؤول كبير في وزارة الخارجية الفرنسية و الذي عبر بشعوره عن شعور كل من يعارض الإسلام و حدد سبب محاربة الإسلام فقال : « ليست الشيوعية خطراً على أوربا وإن كان هناك خطراً فهو خطراً سياسياً عسكرياً فقط ، و لكنه ليس خطراً حضارياً تتعرض فيه مقومات وجودنا الفكري و الانساني للزوال و الفناء .

إن الخطير الحقيق هو الخطير الإسلامي ، فالMuslimون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي ، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ، و يتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، فهم جديرون بأن يقيموا بها قواعد عالم جديد ، دون حاجة إلى التغيير ، أي دون حاجة إلى إعادة شخصيتهم الحضارية ، و الروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية ، (الإسراء) .

كان ذلك في عام ١٩٥٢ حين كان الاستعمار الغربي ينكح من معظم بقاع العالم ، و تكتسح اليقظة السياسية في العالم ، و قد كان المستعمرون الغربيون قد أعدوا خطتهم لتطويق الإسلام و منعه من التحرك على أساس هذا الخط و النابع من الشعور بصلاحية الإسلام المهيمنة على قوى الكفر والضلالة ، عسكرياً و ثقافياً ، (٩١)

شكل كامل ، و تستسلموا على أساس الواقع أمام القرصنة الجديدة ، عليكم أن تراقبوا بشدة كل حركات العرب ، دون استثناء .

و يقول ، إذا لم تقوموا بشن حملة صلبة جديدة ، ستكون لديكم الفوضى العارمة ، وأن أوربا الجنوبيّة ، إيطاليا وأسبانيا ، و فرنسا واليونان ، ستضعف اقتصادياً ، و تحول بلدانكم إلى صحاري (١) .

فلو كان هذا المستشار الأميركي واثقاً بدينه و معترضاً بحضارته لما ساورة خوف تضخم المسلمين و كونهم خطراً للحضارة وال المسيحية ، و مثل هذا الخوف يزحف الاسلام يساور زعماء الحركات الطائفية الهندوسية في الهند الذين ينذرون بخطر انتشار الاسلام ، و تعرض الحضارة الهندوسية للخطر ، وقد تنبه هؤلاء الحافظون للهندوسية لهذا الخطر باقبال عدد من القبائل الهندوسية في الجنوب ، وفي الشرق على الاسلام ، و اعتناق منهم للإسلام ، فأدركوا بهذا الاقبال على الاسلام رغم كون الحكم في أيدي الهندوس ، و رغم وجود ضغوط سياسية و اقتصادية على غير الهندوس ، أن الاسلام يحمل جاذبية وأن تعاليمه تسخر القلوب ، وخاصة عنصر المساواة و عدم التمييز فيه ، و عقيدة التوحيد قاهرة و مقنعة مقابل عقيدة الوثنية ، وأن الشريعة الاسلامية المدونة التي كانت موضع التطبيق قروناً طويلاً تستميل القلوب عن الطقوس و العادات التي تختلف من بلد إلى بلد ، و تقوم على التصور الطبيقي .

كان هذا الشعور وراء كل حركة شاهد في الهند اليوم لوقف الزحف الاسلامي ، وهو في الواقع شعور بالنقض في الحضارة و العقيدة و لذلك أنشئت حركة للانتحال في الحضارة ، فقد كان المتنزبون ، يدعون أن كل خير و فضيلة في الاسلام ، و في العلوم و الحضارة الاسلامية ، يرجع إلى الأصل اليوناني

(١) جريدة أخبار العالم الاسلامي - مكة المكرمة .

و لتاريخه الطويل الذي يدل على وجود هذه الصلاحية ، و ارتاح الغرب بوجود أذناب له في داخل صفوف المسلمين من الذين كانوا يعكفون على إذابة الشخصية الاسلامية الحضارية و الروحية ، لصهرها في بوتقة الغرب ، ليتلاشى هذا الخطر كلياً ، ولكن الصحوة الاسلامية الأخيرة ، قد هزت كيان المفكرين في الغرب ، عند ما علموا أن الاسلام يتسلل إلى عقر دارهم ، وأن الاسلام يتربى في أحضائهم ، فاستأنف هؤلاء المذعoron بالاسلام حملة جديدة ضد الاسلام ، و وجهوا نداءً لحاربه بينما كانوا يوجّون الدعوة للحوار ، وللتداشر بين الاسلام والمسيحية .

يعكس هذه العقلية بيان مستشار الادارة الأمريكية للشؤون الاستراتيجية العسكرية و أستاذ التاريخ العسكري ، ادوارد لوتواك ، الذي شن حملة شهوانية ضد العرب و المسلمين ، وأنذر بخطر انتشار الاسلام عن طريق العرب والمسلمين الذين يعيشون في أوربا ، فوجه نداء لطرد جميع العرب ، أو اعتقالهم ، واحتلال البلدان الاستراتيجية لمنع الزحف الاسلامي الذي يهدد حضارة البحر الأبيض المتوسط .

إن هذا البيان يعكس طبيعة الخوف ، و طبيعة الذعر و يدل على شعور المفكرين في الغرب بالضعف في قوتهم ، و دينهم وحضارتهم ، رغم استيلائهم على العالم ، و رغم قيود مفروضة في بلادهم على الحركة الاسلامية ، إنه اعتراف بأن جميع هذه الوسائل غير مثمرة فوجمت دعوة إلى حرب علنية ضد العرب والمسلمين القاطنين في البلاد الغربية لتهديدهم للحضارة الاوروبية رغم كونهم في أقلية قليلة و مقيدين بشروط مشددة للوطنية و العمل .

يقول ادوارد لوتواك ، وهو يخاطب دول أسبانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان : «أمامكم في جنوب أوروبا بديل واحد ، وهو إما أن تغلقوا حدودكم على العرب

رجل فقدناه :**الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا**

الأستاذ محمد حسن بريغش

عضو رابطة الأدب الإسلامي

إنه واحد من رواد الأدب الإسلامي المعاصر ، الذين حملوا الرأية بصبر و ثبات ، وقفوا على ثغر من ثغور الإسلام .

لقد عمل الفقيد - رحمه الله - على إبراز الأدب الإسلامي بقوة ، و ثابر على المناداة به ، و إبراز خصائصه ، و إحياء تراثه بجد و إخلاص ، وكان في دراسته و تدریسه مثلاً يحتذى في الجد و الصبر و الثبات ، لقد عرفته مدارس سورية ، و جامعة دمشق مناخاً قوياً عن العربية - لغة القرآن - و عن الأدب الإسلامي .

ثم ترجم دعوته تلك إلى عمل رائد عند ما أصبح أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فبدأ يدرس الأدب الإسلامي ، و يبرز نصوصه و خصائصه ، و وجهه عدداً من طلابه لدراسة هذا الأدب ، و جمع نصوصه من بطون الكتب ، و شتى المراجع و المصادر الأدية و التاريخية .

لا سيما وأنه كان يعلم بأن هذا الأدب لم يلق العناية التي يستحقها ، و الاهتمام الجدير به من طلاب الدراسات الأدية ، و لم يلتفت إليه إلا التزr اليسير من الدارسين التفاتات عابرة لا تكاداً مع مكانته من ديوان الشعر العربي ، و لا تنهض إلى مستوى منزلته في حياة المسلمين حتى أصبح يطلق عليه اسم

والروى ، فثبتت في الهند حركة للادعاء بأن كل مأثرة من مآثره التاريخية في الهند ترجع إلى العهد المندوسي ، فادعى بعض زعماء الحركة المتطرفة أن جميع الآثار الإسلامية هندوكية في الأصل بينما أبجادهم ، و يجب أن ترجع إلى المندوس ، و منها المعابد ، و القصور ، و الأبراج ، و القلاع و الحصون ، و أن الهند في العصور الغابرة كانت أقدم من العلم الحديث و بجانب هذه الدعاوى يجري عمل الشويه و التزوير .

وقد صدر ، أخيراً كتاب من محمد الدراسات الدينية أبادهيني في دلهي ، يصور الإسلام تصويراً إرهائياً و يتمه بالعدوان ، و يؤيد موقف مشركي مكة ، و يدي عطفه عليهم ، و يعتبر رسول الله ﷺ و أصحابه معتدين ، و لا حاجة إلى نقل مضمون الكتاب المدسوس الذي يسير على نفس المنهج الذي سار عليه المستشرقون الحاقدون .

هذا الكتاب يعرض عقلية التحريف والتزوير للتاريخ الإسلامي التي تمسك بها الكتاب الغربيون ، يدل على أن أعداء الإسلام لا يؤمنون بعرض مذاهبهم عرضاً موضوعياً و إنما يؤمنون بتشويه وجه الإسلام و لا يؤمنون بالدعوة إلى دينهم و حضارتهم بل يؤمنون بتشويه الإسلام و حضارته . لأن المقارنة تكون بين المقاربين أما المقارنة بين المقاوتين فغير معقول ، و غير مقبول ، و صدق الله العظيم « يريدون ليطفوا نور الله بأفواههم والله مت نوره ولو كره الكافرون » .

و بجانب الحركة الدعائية الحاقدة يصرح بعض الزعماء المتطرفين علينا بطرد المسلمين إذا تمسكوا بدينهم و حضارتهم ، و قد وصف كوبال غودسي أحد قادة حزب هندو مهابها ، وصف المسلمين بأرضية يجب إحراقها لـ *كيلا* تلهم الأغذية الهندوكية .

الأدب البقيم (١) .
ثم راح بعد الأسباب التي حالت دون إبراز هذا الأدب و هذذا كانت ثمار جده هذا أن أخرجت كلية اللغة العربية ستة أسفار، خمسة تجمع النصوص الثرية والشعرية وهي كاييل :

- ١- شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين .
- ٢- شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي .
- ٣- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول .
- ٤- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني .
- ٥- القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين (١) .
- ٦- ، ، ، ، ، ، (٢) .

و سميت هذه الأسفار «موسوعة أدب الدعوة الإسلامية»، وكانت أمنية الفقيد - رحمه الله - أن تصل هذه الأسعار إلى قريب من خمسة عشر مجلداً .
و تمثل هذه المجلدات السستة الأرضية الصلبة التي تساعد الدارسين في معرفة الأدب الإسلامي ، و دراسة خصائصه و رصد موضوعاته و أغراضه ، و صوره منذ فجره الأول .

و هو عمل جليل و كبير يحتاج إلى من يكمله ، و يتمم خطواته تلك لتشمل جميع العصور و شتى الفنون الأدبية .
و هو يعكس صورة الجهد الذي بذله الفقيد ، و التصور الذي نظر من خلاله إلى الأدب الإسلامي .

(١) من مقدمة الدكتور البasha لكتاب شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة و الخلفاء الراشدين .

و كذلك كان له الفضل في إقرار منهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية ، وأصبح قسماً خاصاً يتخرج منه كثير من الباحثين و الطلبة الدراسين ، و تكتب فيه كثير من البحوث و الموضوعات التي تعالج قضايا كثيرة من الأدب الإسلامي .

لقد كان في عمله هذا واسع النظرة ، قوى الخطوة صادق العزمـة لأنـه يومـنـ كـاـ قـالـ فـيـ كـاتـبـهـ وـ نـحـوـ مـذـهـبـ إـسـلـامـيـ فـيـ الـأـدـبـ وـ الـقـدـ ، إـلـهـ مـسـؤـولـيـةـ كـبـرـىـ يـلـقـيـهـ إـلـاـسـلـامـ عـلـىـ عـاـنـقـ الـأـدـبـ ، وـ إـشـارـةـ خـخـمـةـ ، إـلـىـ مـهـمـةـ الـأـدـبـ إـلـاـسـلـامـ فـيـ بـنـاءـ الـجـمـعـ ، فـأـسـلـاتـ الـأـقـلـامـ فـيـ هـذـاـ الـدـيـنـ كـشـفـرـاتـ السـيـوفـ ، وـ كـلـ أـدـبـ يـسـتـحقـ هـذـاـ لـقـبـ بـجـدـارـةـ يـقـفـ عـلـىـ ثـغـرـ مـنـ ثـغـورـ إـلـاـسـلـامـ ، فـإـذـاـ عـرـفـاـ أـنـ إـلـاـسـلـامـ وـ مـسـلـيـنـ فـيـ مـعـرـكـةـ دـائـمـةـ ، وـ أـنـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ نـصـيـهـ مـنـ جـهـادـ وـ بـنـاءـ ، أـدـرـكـنـاـ قـيـمـةـ الـأـدـبـ فـيـ حـيـاةـ الـمـسـلـيـنـ وـ أـهـمـيـةـ فـيـ بـنـاءـ الـجـمـعـ الـمـسـلـمـ - وـ عـلـىـ هـذـاـ فـلـيـسـ الـأـدـبـ نـافـلـةـ فـيـ الـحـيـاةـ - وـ إـنـمـاـ هـوـ عـنـصـرـ مـنـ عـاـنـصـرـهـ الـأـصـيـلـةـ الـثـابـتـةـ ، وـ لـيـسـ الـأـدـبـ بـسـكـانـ الـأـبـرـاجـ الـعـاجـيـةـ ، وـ إـنـمـاـ هـمـ حـلـةـ السـلاحـ فـيـ مـعـرـكـةـ (ـانتـهىـ) .

و ساهم أيضاً بمجهود مشكور في كثير من النشاطات الأدبية و لا سيما في ندوة الأدب الإسلامي التي عقدت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ١٦ / رجب ١٤٠٥هـ الموافق / ١٦ ابريل نيسان ١٩٨٥م ، و كان قليلاً النابض ، بجهده و عمله و إخلاصه .

و كذلك شارك قبلها في ندوة الحوار حول الأدب الإسلامي و مناجمه التي عقدت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في رجب عام ١٤٠٢ ، و كذلك شارك بالندوة التي عقدت قبل ذلك في ندوة العلامة بلشكنت بالهند ، برئاسة سماحة

الدكتور عبد الرحمن رأفت البasha في ذمة الله

عقدت حفلة تأبينية في جامعة ندوة العدام فورما وصل إليها بماً وفاة العالم الجليل والأديب الإسلامي الكبير الدكتور عبد الرحمن رأفت البasha ، بواسطة رسالة أرسلها إلى ساحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى ، فضيلة الأستاذ محمد حسين بريغش عضو رابطة الأدب الإسلامي ، من الرياض .
 تحدث في هذه الحفلة ساحة العلامة الندوى وأبدى حزنه الشديد على حادث وفاة فقيد الأدب الإسلامي الدكتور عبد الرحمن رأفت البasha ، وقال: إن المرحوم كان في طليعة الملبن للدعوة التي وجهت إليه حول بعث الأدب الإسلامي من جديدة وإبراز ملامحه من خلال النصوص والكتابات الإسلامية التي لانزال طرية جديدة في غضون الكتب والمؤلفات، وأخبره بعقد مؤتمر الأدب الإسلامي في ندوة العلامة التابعين ، هاتان السسلتان اللتان كتبتا بأسلوب أدبي مشرف يعطى نموذجاً للأدب الإسلامي الحديث ، هذا الأدب الذي يتميز بالأصالة ، والاشراف ، والسمو ، وكانت كتبه هذه واسعة الانتشار ، كثيرة الطبعات ودخلت كمقررات مدرسية في عدد من الدول .
 رحم الله الفقيد ، الذي كان على ثغره من ثغور الإسلام ، وظل جندياً صامداً على هذا الثغر حتى وافته المنية .
 لقد كان الفقيد من كبار الأدباء الذين قاموا بخدمات جليلة للدين عن طريق الأدب ، وركزوا مجدو دانهم الأدبية على إبراز الأدب الإسلامي وإثرائه بتراثهم الأدبي والبياني ، إنه قاد حركة الأدب الإسلامي وجعله هدفاً غالياً لحياته ، فاستطاع أن يقدم إلى الجيل الإسلامي الحاضر صوراً رائعة للأدب الإسلامي من خلال مؤلفاته وموسوعته الأدبية .

الشيخ أبي الحسن الندوى حفظه الله .
 وكذلك ساهم بحمد كبير بتأسيس رابطة الأدب الإسلامي وانتخب في المؤتمر الأول للرابطة نائباً للرئيس ، حيث كان رئيسها ولا يزال سماحة الشيخ أبو الحسن الندوى .

وكذاك انتخب عضواً في مجلس الأمانة ، ورئيساً لمكتب الرابطة في البلاد العربية .

كان رحمة الله جم النشاط ، صادق العزم ، لا يعرف الكل حتى أصيب قبل وفاته بـ الشلل النصفي ، ومع ذلك ظل على طريقه وفيأً للهدف الذي يسعى إليه ، طالباً مرضاه الله عز وجل .

ولم يكتف بهذا الجهد ، بل كان تاجه وقلبه صورة عما يدعو إليه ، ولذا صار يعرف بصاحب سلسلة « صور من حياة الصحابة » و « صور من حياة التابعين » هاتان السسلتان اللتان كتبتا بأسلوب أدبي مشرف يعطى نموذجاً للأدب الإسلامي الحديث ، هذا الأدب الذي يتميز بالأصالة ، والاشراف ، والسمو ، وكانت كتبه هذه واسعة الانتشار ، كثيرة الطبعات ودخلت كمقررات مدرسية في عدد من الدول .

رحم الله الفقيد ، الذي كان على ثغره من ثغور الإسلام ، وظل جندياً صامداً على هذا الثغر حتى وافته المنية .

يوم الجمعة 11 ذو القعدة 1406هـ الموافق 18 يوليو 1986 م ميلادية في مدينة استانبول بتركيا .

رحم الفقيد رحمة عاصمه ، وأسكنه فسيح جنانه .
 وإنما الله وإنما إليه راجعون

وأشاد سماته في الأخير بمكانته الأدبية العالمية ، وقال : إن الدكتور عبد الرحمن رأفت كان أستاذًا كبيرًا للآدب الإسلامي ومن كبار الكتاب المسلمين ، إنه جعل أدبه ذريعة لخدمة الإسلام فصيغه بصيغة إسلامية ممتازة ، لذلك فأن الفقيد قد خاف في حياته نموذجًا لكل من يشتغل بالعمل الأدبي ، طلابًا وأساتذة ، وذلك دليل على علو مكانته ونيل عمله قبولاً من عند الله تعالى ، رحمة الله وأعلى درجاته في الشهداء والصالحين .

كما قد ألقى كل من فضيلة الدكتور عبد الله عباس الندوى معتمد التعليم في دار العلوم ندوة العلماء ، وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الندوى رئيس كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء ، كلية اعتراف بفضل مجهودات المرحوم الأديبة ، وتأثيرها وغنائمها في الجيل الإسلامي الحاضر ، وما قال الدكتور الندوى : إن المرحوم الباشا كان ذا بصيرة نافذة في الآدب الإسلامي ، فقد تمكّن من جمع مواد قيمة تجلّى فيها مكانته الأدبية ، وأشار إلى نضج فكره الإسلامي في الآدب ، بدون أن يتأثر بالظروف السياسية الصعبة التي اجتازها ، والتي كانت تتطلب منه أن يخضع لها قوته الأدبية ، وبراعته الفنية ، ولكنه أبى إلا أن يخدم الأدب و يموت في سيرته .

وأشار فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى إلى تربته الأدبية التي تمت على يد جده العظيم حيث أنه فقد والده وهو ابن ثلاثة أشهر فقط ، وقد كان من مواليد مدينة حلب في الشام ، نشأ المرحوم على خلال إسلامية طيبة نتيجة التربة التي تلقاها من جده العالم والحافظ ، وبعد ما أتم دراسته في حلب ودمشق سافر إلى القاهرة حيث نال شهادة الدكتوراه في الآدب العربي ، ثم عين كأستاذ للآدب في كل من دمشق وحلب ، ومنذ ٢٢ عاماً كان أستاذًا للآدب العربي بكلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برياض ، وفي الأخير كان رئيس قسم الآدب العربي بكلية اللغة العربية فيها ، رحمة الله وأسكنه فسيح جناته .

العدد القادم

وهو العدد السادس للجلد الحادي و الثلاثين سيصدر - بإذن الله - في غرة ربيع الأول سنة ١٤٠٧ (نوفمبر و ديسمبر سنة ١٩٨٦) فترجو القراء أن لا يترقبوا المجلة في شهر صفر سنة ١٤٠٧ (أكتوبر و نوفمبر ١٩٨٦) .
(-:) التحرر (-:)



قلم : ساحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الندوى

لَهُ وَسْبَ

أطعاءات عن شخصيات معاصرة كثيرة راحلة ،
و عن كتب أثيره مؤثرة أسممت في كتب
شخصية المؤلف و ذوقه الدينى و العلمى و الادبى

الناشر :

كلية اللغة العربية وآدابها
ندوة العلماء لكتبو (الهند)

طلب الكتاب من
مكتبة مؤسسة الصحافة و النشر
دار العلوم ندوة العلما، ص . ب ٩٣ لكرنونو (المدن)